السيد بهاء الموسوي

تـأملات ماتعة
في الـزيارة الجامعة الكبيرة

تأملات ماتعة

في فقرات من الزيارة الجامعة

السيد بهاء الموسوي

مقدمة

بدأ كيف لنا أن نتحدث عن هذه الزيارة؟ وماذا تعني لنا هذه الزيارة؟ يمكن معرفة ذلك مما ورد في حقها من كلمات علمائنا الاعلام أذ قالوا:

– السيد المرعشي قال عنها: "وإن الزيارة الجامعة الكبيرة استاذ من لا أستاذ له"، وبعض العلماء يقولون في حقها كهذه الكلمة ويضيفون عليها زيارة عاشوراء، واقول: إن كل من الزيارة الجامعة ودعاء مكارم الاخلاق ودعاء الندبة هذا مثلث يصنع الانسان.

فالذي يريد أستاذ في الاخلاق والسلوك والمعرفة وتهذيب الكثير من سلوكياته عليه بالزيارة الجامعة الكبيرة ، وعندما نقول يصنع، ليس على مستوى قراءتها فقط، بل على مستوى التأمل والتدبر ومراجعة الشروحات التي كتبت فيها، حيث إن الزيارة الجامعة كتب فيها ٦٦ شرح، هذا غير المخطوطات التي لم تصل لنا.

وقيمة الشروحات بتنوعها إذ نجد هناك اختلاف من شرح لأخر، فشرح الشيخ الإحسائي الاوحد وهو شرح معتد به ولكن يميل الى الروايات فقط؛ بينما نجد جواد آملي يميل الى التآمل بالروايات، اما كاشف الغطاء يميل الى تفسير ما ورد في الزيارة في القرآن الكريم، اما شرف الدين فإنه يميل بشروحاته بالتحليل، كذلك الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

– العلامة المجلسي قال عنها: "ومن فضل الزيارة الجامعة عليه ولدي محمد باقر المجلسي (صاحب الكتاب المشهور ببحار الانوار)، يقول: كنت اداوم عليها كثيراً، اعسرت عليه الامور كثيراً فوهبني الله ولدي محمد".

– السيد السيستاني ورد عنه في حقها كما سمعت ذلك شخصيا من ولده(عبارة جميلة) قال: "الذي لا يستطيع أن يقرأ الجامعة ودعاء كميل ليلة الجمعة–إذ إن الزيارة الجامعة يستحب قراءتها ليالي الجُمع– انصح بأن يترك اسبوعاً للجامعة، وأسبوعاً لدعاء كميل".

****

إلا إن هناك تشكيك أثاره بعض المؤرخين وبعض المفكرين والفقهاء من داخل المذهب بصحتها إما سنداً او نسبة او متناً.

بدأ نحن إذا اردنا أن تكون عقيدتنا عقيدة معقودة متسلسلة بالقلب لا تهتز بأي شيء؟ لا يمكن بلوغ ذلك إلا بسقي القلب بالمعرفة وبذل الجهد ومن خلال التعب، فكل ما أؤمن به عليه أن اسأل نفسي لمَ أؤمن به، هل أملك ما يثبت إيماني لنفسي ولأولادي وأحفادي.

فالزيارات التي يوصونا اهل البيت بالمداومة عليها لكي يزداد الموالي معرفة؛ الزيارات ليست امور غيبية يقرأها الانسان ولا يفهم ما معناه، ومراده! لذا تجد زيارة عاشوراء مثلا فيها ١٦٥شرح تجد فيها ما تجد من العظمة والروعة.

إذا أين المشكلة في الزيارة؟

المشكلة الاولى: قِيل المشكلة في سندها إذ إنها رواها عبد الله أبن موسى النخعي، قال: يأبن رسول الله (اي إمامنا الهادي عليه السلام)علمني قولاً جامعاً عندما ازور أي منكم، فكانت هذه الزيارة هي ما عُلِم، إلا أن هذا الراوي مجهول الحال، لم يصدر في حقه لا مدح ولا ذم من قبل الائمة، ولذلك هم قالوا: لا نستطيع الاخذ عنه.

ولمناقشة هذه المشكلة نقول:

▪**اولاً:** من الذي روى عن عبد الله النخعي؟ الذي رواها عنه هو محمد ابن يونس البرمكي، وهذا عالم جليل ثقة ومن المقربين من الإمام الجواد والهادي، والعسكري(عليهم السلام)، وبقي الى زمن الغيبة الصغرى للإمام.

ونحن لدينا قاعدة تقول:((الثقة لا ينقل إلا عن ثقة))، ففي علم الرجال ((الثقة المشهور يوثق الثقة غير المشهور)) اي ليس فقط مجهول الحال بل حتى غير الثقة.

▪**ثانياً:** عبارة جميلة وردت عن السيد الخوئي قيل له: لمَ لم تبحث عن سند الزيارة الجامعة – كونه صاحب منهج رجالي ولديه مسلكه الخاص به، كما لدينا النجاشي له مسلك خاص بالرجال يعتمد من رجال الحديث، هو لديه موسوعة من ٨٥جزء فيها كل رجالات السند– قال لهم((عمق المتن يغني عن السند)) فدقة المتن، ورقة العبائر وعمقها وسلاستها ذلك يغني عن البحث عن السند والدليل لتأكد من صدورها عن المعصوم.

وهذا يجعلنا أمام نقطة أساسية وهي الاهتمام بشروحات الزيارة الجامعة، لذا الامر هنا مرتبط بالعلماء الذين من خلال المتن يثبتون صحة السند.

▪ **ثالثاً:** لماذا لم ينقل الشيخ الكليني الزيارة الجامعة الكبيرة بينما نقلها الشيخ الصدوق؟

الجواب على ذلك:

اولا: وجود الشيخ الصدوق الذي عرف بمبالغته بالدقة بالنقل وهو(شيخ الطائفة) حيث نقلها بنقلين في كتابه، عندما ترجع وتدرس حياته وتقارنها مع حياة الشيخ الكليني، تجد إن الشيخ الكليني كان في بغداد او بقرب الامام

الكاظم(عليه السلام) وكان هناك نوع من التقية او الخوف والكتمان في بعض الاشياء.

بينما الشيخ الصدوق كان في أيران وكانت الدولة الحاكمة هي الدولة البويهية وكانت قريبة من التشيع، وليس لها هذا التشدد تجاه نقل هكذا مرويات وزيارات عن الائمة.

فنَقل الشيخ الطوسي للزيارة دليل أنه كان مخلى السرب، بينما عندما تأتي للشيخ الكليني كان في تقية.

وفي حادثة موثقات ابن سمعان كان عنده كتب يجمع بها الروايات، دخل عليه العباسيون وحرقوا كل الكتب التي نقل بها الروايات، أبن سمعان وموثقه أبن عامر لما حرقت الكتب كانوا قد حفظوا الرواية، ونسوا الاسانيد، المعصوم قال: ما آتاكم من ابن سمعان خذوه لأنه ثقة، وهذا يبين لنا كم إن أهل البيت(عليهم السلام) حريصون على الناس، وعلى اثارهم بين الناس.

لذلك هناك فتوى بإجماع الفقهاء تنص على: ((حرمة رد الخبر الذي لا يثبت لدينا))، فعندما لا يستوعب العقل الرواية او يكون التقييم وفق الهوى والمزاج فأقبل الذي اريد وأرد ما لا اريد ((هذا حرام)).

فالأخبار والروايات درجة قبولها منوطة بأهل الاختصاص فهناك الخبر المعنعن(اي عن فلان عن فلان)، وهناك الرواية المرسلة التي تبدأ بسند لا يذكر فيه أحد متصل بالإمام(اي الرواية مقطوعة)، وهناك الرواية المصححة، رواية ضعيفة، وهناك الرواية الموثقة؛ فحتى تعرف الرواية من اي صنف، هل هي صحيحه او لا، تذهب لعلم الرجال ثم علم السند، تدرس قرائنها الحافة بها مثلا يأتي الامام الصادق(عليه السلام)يقول كلمة ردا على سؤال

ما، ويأتي شخص اخر يسأل نفس السؤال فيجيبه الامام بكلمة اخرى، هنا نعود للقرائن ونعرف بعد ذلك سبب تغيير الجواب، فإختلاف الجواب يكون لإختلاف القرائن هل هو في محضر الشيعة او في وضع تقية مثلاً الذي لأجلها كانت الاجابة مختلفة.

بالنتيجة علم الرجال من اصعب العلوم التي تدرس في الحوزة لان المطلوب به حفظ الاسماء من نقلت عنهم الروايات ومدى وثوقيهم وبالتالي قوة تلك الرواية او ضعفها، وهذا يجعل طالب الحوزة امام مسؤولية تجاه اي رواية تَرِد عن اهل البيت عليهم السلام، كما وأن هذا ليس تعقيد بل تقييد، فأهل البيت(عليهم السلام) يريدون أن يعقدون قواعد حتى لا نشتبه بقضية ولا يدخل اي احد بإشكال.

اسباب ثلاثة ركز أهل البيت ببركتها على الزيارات:

اولاً: كونها محطات عبادية وجدانية.

إن الجانب الغيبي الذي لا يرتبط بمباني الكلمات إنما يرتبط بمعانيها(اي روح الزيارة)، مثلاً عندما تقرأ هذه العبارة "أنتم الادلاء على الله"، "اهل الذكر"، "هداة الابرار"، "حجج الجبار" لابد أن يعيشها الانسان، فهذه معاني ولائية تعطي القارئ لها غني وجدانياً بزيارة المعصومين بدلا أن يبحث هنا وهناك.

فدعاء الندبة لو يشرح بشكل وجداني وبشكل صحيح، لا توجد قصة وجدانية عالمية تضاهيه، بدلا أن يعيش الإنسان الفراغ الوجداني، رجل او إمرأة، فإن في الزيارات ثراء وجداني، فبها لا يبقى المرتبطين بأهل البيت فارغين وجدانياً.

ثانياً: كونها محطات بيان المعارف التي تنفع الانسان في حياته.

الزيارة عبارة عن كمية من المعارف والافكار والحلول للكثير من المشاكل، مثلا عبارة في زيارة عاشوراء ((اَللّهُمَّ اَحْيِني حَياةَ مُحَمَّد وَذُرِّيَّتِهِ وَاَمِتْني مَماتَهُمْ وَتَوَفَّني عَلى مِلَّتِهِمْ،))، هذه العبارة منهج تقول لك: لن تموت مماتهم إذا لم تحيا حياتهم، فهي تجعل الانسان ثري بالمعارف والافكار .

ثالثاً: كونها محطات بيان مقامات الائمة.

الذي يجعل الائمة يركزون على الزيارات ايضا هو لكي يبقى الانسان متصلا أينما كان وكيفما كان بهم، فلا يحصل إنفصال، فمن يريد الاتصال بأهل البيت عبر زيارة مشاهدهم فإن منع من ذلك، هذه الزيارات تجعل الانسان طري دائما.

القسوة هي التي جعلت الناس تبتعد عن رموزها التاريخية فصارت تراى سيرتهم ومأثرهم سيرة جافة، بينما الاتصال الدائم بأهل البيت هو ما جعل هذا المذهب طري دائماً.

التأمل الاول: الادلاء على الله

قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(العنكبوت:٦٩)

واحدة من فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة((**اَلسَّلامُ عَلَى الاَدِلاّءِ عَلَى اللهِ**))

هذه العبارة مهمة الى غاية إذ إنها تبين إن المفتاح الذي يصل من خلاله الناس الى الله جل وعلا هم هذه العترة الطاهرة المباركة وعلى كل المقاييس، وذلك وفق لعدة امور:

اولا: نحن نؤمن بقوله تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(المائدة: ٥٥)، هذه الآية التي تشمل ذكر ولاية أهل البيت عليهم السلام، ونحن نؤمن إن ولاية أهل البيت وإمامتهم جعل قرآني الهي يعني ليس فيه تدخل للبشر، ولكن لا يعني ذلك أن أهل البيت ليس فيهم المواصفات التي يريدها للبشر، لذلك لما نقول: الله نصب الامام المعصوم ليس معنى ذلك إنه لا يملك المواصفات المطلوبة بل إن الامام نصب لوجود المواصفات ولأنه افضل من غيره بذلك.

نحن مثلا المتولي لهذا الموكب جعل وفق مقومات فيه، وهكذا جَعل إمام من قبل الله للناس هي حجة شرعية لا يسألون بعدها، قال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}(الإسراء:٧١)، تعالى غني عن دعوة الناس.

وهنا بحث كلامي مهم، الادلة (أنية) و(لمية)، الانية تبدأ مني(أنا) (الدليل الانيّ)اي يبدأ منا الشيء ويذهب الى الله ، اي من المدلول الى الدال، اما

لما نقول (دليل لمي) يعني من الدال يبدأ وينزل الى المدلول اي من الله الى المعلول الذي هو نحن.

فبالأصل كل الناس ظاهر لله من هو إمامهم، من خلال سيرتهم، من خلال عملهم، من خلال اثار الامام فيهم.

ثانياً: الامام يلبي كل حوائج الناس الفطرية، النفسية، العقلية، الروحية، هو جُعل للإرتقاء في اي جانب من جوانب وجودك الانساني يعني الله تعالى لا ينصب الانسان الذي لا يوصل الناس الى سعادتهم وكمالهم .

بالأصل ((الامام اولى بكم من انفسكم)) يعني الامام المعصوم اقرب الى الانسان حتى من نفسه من ناحية النفع والفائدة.

لذلك امير المؤمنين(عليه السلام) لما يدخل على عبد الشيطان ابن ملجم يقول: ((اريد حياته ويريد قتلي))، فالإمام المعصوم بشكل عام هو يريد للناس الحياة الهناءة، السعادة، إلا إن الناس تبتعد عن الإمام فلا تجد طعم للحياة والسعادة!!.

صفاة الادلاء على الله تعالى:

الصفة الاولى: متاح

اي يستطيع اي فرد أن يصل اليه، لذا لا تجد في سيرة اي امام معصوم إنه كان محجوب عن الناس، حتى صاحب الزمان الغائب(عج) هو غائب بشخصه لا بشخصيته، غائب بالعنوان لا الوظيفة.

الصفة الثانية: واسع

اي إنه يسع الجميع، رسولنا الخاتم(صلى الله عليه واله) كان مثال وقدوة في هذه الصفة التي يحتاجها كل واحد منا، ففقدان الاوسعية يجعل الانسان يفقد أحدى صفاة الهداة، فكل إنسان يملك هذا الدور فالأب الذي ليس لديه اوسعية في احتواء كل ابنائه لن يتمكن من ان يؤدي هذا الدور.

الصفة الثالثة: هو يدل الله عز وجل

اي الامام لابد أن يكون دالا وعارفا بالله، عثمان ابن معين جاء من مكة الى المدينة مع احد اتباعه للإمام الصادق اسمه محمد ابن مسلم وكان طوال الطريق يستهزئ بالإمام الصادق فوصلوا الى مشارف المدينة، ولما خرج من الامام قال: الله يعلم حيث يضع رسالته.

سؤال: اذا كان المعصوم من الادلاء على الله، من يدلنا على المعصوم؟

الطريق الاول: اتباعهم

حيث هناك حلقة وصل بين الادلاء على الله والله تعالى وهم نحن، الذي دللنا المعصوم بفطرتنا برزق الله تعالى لنا، كما يقول الشاعر: [لا عذب الله امي انها شربت * حب الوصي وغذتنيه باللبنِ

وكان لي والد يهوى ابا حسن* فصرت من ذي وذا اهوى ابا حسن]

ولكي يكون الانسان دال على المعصوم لابد أن تكون علاقاته مع الناس طيبة، فينظر من هي رموزهم، من يتبعون؟ لكي يتمكن من توسعة دائرة اتباع الامام(عليه السلام).

فكون الانسان من اتباع الائمة هذا يعطيه فرصة أن يكون هو دال ومرآة عاكسة للإمام ورحمته لهم هذا من جانب، ومن جانب اخر هذه مسؤولية

كبيرة تقع على عاتقنا جميعاً بدون إستثناء، كما ورد ((ليُرى منكم)) لأنكم مظهر للإمام الذي تأتمون به.

وهذا لابد أن يكون هدف استراتيجي لنا، فهل من المعقول أن يكتفي الانسان بإن رزقه الله تعالى حب محمد وآل محمد، لا! بالتأكيد، بل عليه أن ينتشر وينشره.

الطريق الثاني: الحركة

إن الذي يجعل الناس تؤمن بالنبي واله ويلتفتون الى إنه صاحب الحق هو الدعوة التي تحرك النفوس وتثير فيها حب المعرفة عن تلك الدعوة واصحابها، فشعيرة اللطم مثلا هي حركة فيها رسائل، هذه الحركة تثير انتباه المقابل وتجعله يتساءل لم يفعل الاطم هذه الحركة؟

فالحزن الصامت امر طبيعي، لكن الحزن المصحوب بإظهار الالم والحرقة باللطم هذا شيء مختلف وهو حزن ملفت.

حيث أن عالميا لا يسوق لشيء ليس مختلف، ونحن عندما نقول مختلف لا نقصد به أن يكون مبتدع بل شيء جديد مرتبط بالقضية، ووفق الضوابط الدينية.

أهل البيت كانوا كذلك بل لا يتوقع احد ما هم فاعلين، فعلي(عليه السلام) الكرار في الحرب، في المسجد عندما لا يبايعه احد يقول : دعوه، ولما تسلم الخلافة فعل شيء مختلف وملفت.

ابناءنا تسربت لهم ثقافة الانهزامية، وهذا بسببنا إذ إننا لم ننقل لهم ونعلمهم بإن التميز بالحق الذي يريده الله لا بما يشابه ما يريده الناس، صعب جدا أن تكون مختلف لكن هذا هو المطلوب.

العمامة علامة على إن حاملها خادم للناس، طالب العلم يعني ما تأخذه من استاذك عليك أن تعطيه لغيرك، فانتماءك لأهل البيت لابد أن يميزك بشيء عن غيرك.

الطريق الثالث: القلب الطيب الفطري

ما هو ملاحظ في السنين التالية إن الفطرة بدأت تمسخ، يقال عن الفطري بإنه ساذج!! بينما تعالى يقول { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}(الروم: ٣٠)، وقوله:{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً}(البقرة: ١٣٨)، فالعصبية، المادية الغضب، التعنصر كلها صبغ لكن غير الهية.

لذا فصاحب الصبغة النقية التي لم تلوث بالأحقاد والحسد والتعصب بمجرد أن تفتح له الباب يدخل لان الفطرة تقود الانسان دون أن يتحرك، فعن إمامنا الرضا (عليه السلام) إنه قال: ((رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا،..)).(بحار الأنوار – ج ٢ – ص ٣٠)

فالإمام الحسين(عليه السلام) لم يسمعوا كلامه لان فطرتهم مسخت.

الذين كانوا خصوم لآل محمد(عليهم السلام) لماذا يكذبون عليهم؟ يسلبون فضائلهم، لذات السبب.

الامام الحجة(عج) لما يظهر وينادي يا لثارات الحسين كيف ينهض معه الناس إن كانت فطرتهم قد مسخت؟

فهدف من اهداف الادلاء على الله العليا هي كانت المحافظة على فطرة الناس.

الطريق الرابع: بذل الجهد والحرص على البحث عن الحق

احيانا الانسان يُطلب منه أن يبحث ويدرس ويبذل جهد لتفتح امامه الافاق، وهذا يبين أن كل حركة صادقة في طريق الحق مثمرة قد نراه وقد لا نراه، ليس من الصحيح الاعتراض بمجرد عدم بلوغ المكتسبات، انت ضع بصمة النور اينما كان وهي تثمر.

تعالى قال(تؤتي اكلها كل حين)، وهي شجرة والشجرة ليست الله تعالى، اذا الانسان المرتبط بالله كم هو عظيم؟

الطريق الخامس: كثرة الظلمات

عندما نقول إن الامام الحسين(عليه السلام): مصباح هدى يعني نحن نتكلم عن الهداية فإن كان الامام مصباح(نور)فمن الذي يدل الناس على هذا النور؟ الجواب: الظلمات، فكلما اشتدت العتمة كان الالتجاء الى النور اكثر.

لذا تجد في كل يوم فتنة وشدة وشبهة ومعركة نفسية يعيشها المجتمع، تجد محمد وال محمد بارزين وبينين الى درجة انهم ليس يقولون للناس تعالوا؟ بل هم يقصدون الناس، هم يقصدون الظلمات فيبددونها.

الامام الحسين(عليه السلام)لا ينتظر الظلمات تأتيه لا! انما هو يقصدها، يذهب اليها. قال: "الا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم انشد أبيات فروة بن مسيك المرادي".

لذا نحن نختلف مع من يقول: أن الامام ذهب للعراق فقط وفقط لان العراقيين دعوه وقالوا له: "ان اقبل علينا".

لان الامام(عليه السلام)هو ليس ردة فعل بل هو فاعل مرفوع بالله، ابدا لا يكون منصوب او مكسور لان المجتمع يقول له تعالى لنا؛ الامام(عليه السلام) يعرف ما هو تكليفه.

دلالة الحسين(عليه السلام)على الله تعالى

إن الامام(عليه السلام) من ادلة وجود الله تعالى، فلا يعقل أن تكون الجبال هي من الدلائل والآيات من الدلائل الالهية والامام ليس دليل على الله بل إن الامام دليل عصري وليس سيري اي ليس دليل زمان ومكان بل لكل مكان وزمان.

فأهل البيت ليسوا ادلاء على الله فقط من ناحية كماله وجماله ونواله وافعاله واثاره بل نستطيع أن نستدل على رحمة الله برحمة الحسين(عليه السلام).

الشيخ التستري يقول: " ان الرب الذي يرسل مثل الحسين لا يريد بالناس الا الرحمة". بلى، فالرب الذي يرسل هكذا انسان بهذه الاوسعية النفسية التي تجعلنا نختار عندما نتحدث عن الحسين، كما يقول الشاعر:

[فيك يا أعجوبة الكون *غدا الفكر كليلا

أنت حيرت ذوي اللب *وبلبلت العقولا

كلما أقدم فكري *فيك شبراً فر ميلا]

فعندما نتأمل ونتعمق في سيد الشهداء نجد إن من الغير منطقي أن لا يستدل الانسان موحداً كان ام ملحداً على وجود الله تعالى بالحسين؟! فماذا تريد- ايها البعيد - دليلا اكثر من وجود الحسين (عليه السلام) على وجود الله تعالى.

لمحة واحدة من دعاء عرفة

فكما تقرؤون زيارة عاشوراء أقرأوا دعاء عرفة لان الذي لا يجمع بين الزيارة والدعاء تبقى لديه اشياء كثيرة غير واضحة، حيث يقول الامام في إحدى

فقراته:((إلهى اَنَا الْجاهِلُ فى عِلْمى فَكَيْفَ لا اَكُونُ جَهُولاً فى جَهْلى،)) من القائل؟ القائل سيد الشهداء(عليه السلام) الذي خطاباته تحار لها العقول، واولي الالباب.

هذا الامام(عليه السلام)عينه الذي يقول في كربلاء:((إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى))، وهو الذي قال كلمة في الموت لم يسبقه احد بمثلها، قالها وهو محاصر، هذا المعنى يقربنا من شخصية الامام أكثر.

ثم يقول((إِلهِي عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الاثارِ وَتَنَقُّلاتِ الأطْوارِ))، كالجبال والسواحل، الجمال والقبح، المرض الصحة، الغنى الفقر، القتل الحياة)كما في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (آل عمران: ١٤٠)

ثم يقول الامام عما يريده تعالى من كل هذا التنوع: ((أَنَّ مُرادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْ حَتَّى لا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ،))

وقال: ((مَتى غبْتَ حَتَّى تَحْتاجَ إِلى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ؟ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقِيباً وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلَ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً،))، فالأثار هذه كلها تدل على الله تبارك وتعالى، نحن مشكلتنا قد استغرقنا بالأثار فنسيناك.

****

هذا الامام هو الذي قال عنه القران: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}(الأحزاب: ٣٣)، فالتصور الاولي لإذهاب الرجس: بالمنطق يسمى "المنطوق"، مثلا الان لما اقول لك(انا عطشان) هذا منطوق معناه (اجلب لي ماء)، لذا هذه الآية منطوقها تنفي الرجس عن اهل البيت.

فمرة تقول (يُرفع) يعني الرجس موجود فيُزال، ومرة (يُدفع)اي هو اتي لكم فلا يصلكم. ومرة(يُذهب) يعني لا هو يريدكم او يأتيكم ولا انتم تريدونه لان هناك تناقض بينهم وبين الرجس حيث لا تجتمع الظلمات والنور؛ فتصور الرجس يأتي لآل محمد(محال).

اما التصور الثاني: مفهوم الآية لا منطوقها هو نفي الرجس عن كل من يتصل باهل البيت يعني بما انهم الله تعالى اذهب عنهم الرجس هم يرفعون الرجس عن كل من يتصل بهم، بل...بل...بل ان الحسين يرفع الرجس حتى لو كان يزيد حاكما، فهو لابد ان يرفعه.

****

لذا نحن نفرق بين **(منا اهل البيت)**، و**(من اهل البيت)**، و**(اهل البيت)**.

فما ورد عن سلمان إن النبي(صلى الله عليه واله)قال: ((سلمان منا اهل البيت)) لماذا لم يقل النبي سلمان من اهل البيت؟ لان هناك فرق يترتب على من كان(من اهل البيت) او (منا اهل البيت).

بل من الجدير بالذكر إن ليس فقط الصحابي سلمان حضي بهذا القرب بل هناك العديد من رواة الحديث كالفضل ابن عياض، وعلي ابن وقاص حضوا بذلك، وهذا يبن لك معنى يذهب وليس يرفع او يدفع او يمنع.

ف**(من اهل البيت)** تعني منهم نسبا، لهم القابلية على الاخذ من اهل البيت بلا واسطة مثل العباس والحمزة والسيدة زينب وعلي الاكبر

كما ورد على لسان الشاعر

[أهل بيت طهروا من دنس* وهمُ للخلق أسباب النجاة

رؤساء الدين أقطاب الهدى* ولهم في الحشر أسمى الدرجات]

اما **(اهل البيت)** فمعروف من هم عندنا وهم المعصومين الاربعة عشر.

اما **(منا اهل البيت)** امثال سلمان وعمار ومالك وميثم هؤلاء لا يستطيعون ان يأخذوا من اهل البيت بلا واسطة، فلا بد أن تكون بينهم واسطة، فسلمان يحترق لا يقدر، الفضل ايضا.

فأهل البيت واسطة بين (الخلق اجمعين) وبين رب العالمين؛ وهم واسطة بين الله وبين من هم (من اهل البيت)، وهم واسطة وسطية بين من هم (من اهل البيت) وبين من هم (منا اهل البيت)، وهنا هذا الواسطة ليس على المستوى الميداني بل على المستوى النوراني.

فدعاء التوسل الذي نطلب به الوجاهة بهم من الله تعالى يتطلب طاقة روحانية كبيرة؛ اهل البيت هم انوار الله تعالى–كما في سورة النور– وتعالى يخفف لنا واسطة النور حتى يصل لنا.

فمن ليس له نور، الذي لا طاقة نورانية عنده، بالتأكيد لا يحصل على شيء من توسله، لذلك قوة اهل البيت بطاقتهم النورانية.

وكما يروا (بالاسناد المذكور)عن أبي حمزة، قال: دخل سعد بن عبد الملك وكان أبو جعفر عليه السلام يسميه سعد الخير وهو من ولد عبد العزيز بن مروان على أبي جعفر (عليه السلام) فبينا ينشج –اي يبكي بكاء الثكلى–كما تنشج النساء قال: فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ما يبكيك يا سعد؟ قال وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن، فقال له: لست منهم أنت أموي منا أهل البيت أما سمعت قول الله عز وجل يحكي عن إبراهيم: " فمن تبعني فإنه مني ".(الاختصاص – الشيخ المفيد – ص ٨٥).

فهذه كلمة لا يقولها الا معصوم، وعلى اثر ذلك سمي سعد بسعد الخير، بالنتيجة هذا القرب نتج من نور كان فيه.

وهنا الامام لماذا لم ينفي عنه هذه الصفة ؟ الجواب:

اولاً: يريد الامام(عليه السلام) أن يثبت إن الانتماء لأهل البيت بالمستوى الحقيقي الصادقي الواثقي يبقي الانسان اموي النسب، ومن اهل البيت في السبب، اي لا تنتفي عنه هذه النسبية، لكنها تنتفي عنه رذيلتها.

ثانياً: الامام(عليه السلام) يريد أن يثبت هذه الاحتمال، ووجود هكذا فرصة لأي إنسان، بإن هناك قسم من الناس هم ليسوا على هوى اهل البيت كنسب لكنهم تبعوا اهل البيت وخرجوا من تبعيتهم لذلك الطرف.

بالمقابل هناك امثال ابن الخطاب من اصحاب الامام الصادق(عليه السلام) وكان من تلامذته: الامام قال عنه: ((ينام على فراشه مرتاح وانام خائفا))، المشكلة أين؟ فهذا ايضا كان من الفقهاء وتلامذة الامام، المشكلة ذاك اخذ وهذا ضيع.

لذا عندما نجلس في مجالس الامام الحسين(عليه السلام)لنراقب انفسنا فالذي لا يتعامل معها بالشكل المطلوب، لا يهتم بها، ولا يستشعر قيمة حضوره فيها، فيعد المجالس ايام لا نِعَم تحسب عليه وسيؤسل عنها هذا الشيء كاشف عن طبيعة نورانية هذا الفرد، وليس الامر هكذا.

بينما الذين هم من اهل البيت كأمثال السيدة العقيلة لما وقفت في وسط مجلس يزيد وقالت ((فكِدْ كيدَك، واسْعَ سعيَك، وناصِبْ جهدك، فوَاللهِ لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تُميت وحيَنا، ولا تُدرِكُ أمَدَنا، ولا تَرحضُ عنك عارها)).

هي تتحدث عن شيء ملموس لأنها من اهل البيت، من اهل النور، الذين يرون الشيء البعيد الذي لا يزيد ولا غيره يرونه، ثم تقول: ((لكنّ العيون عَبْرى، والصدور حَرّى، لقتلِ حزبِ الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء!))..

فإن الانوار هي الشيء الفارق مع اهل البيت، يجعل المرتبط بهم له ارتباط حقيقي.

كان محمد ابن مسلم الثقفي هذا الفقيه الذي يفتي الناس ومن تلامذة الامام المبرزين لديه شيء من الاهتمام بالزينة وهو غني ومن عائلة في ذلك الوقت تملك نصف الكوفة فكان يضع من عطر يسمى العطر الفاره كناية عن انه لا يقتنيه الا من اصحاب الثراء، شراءه ليس حرام لكنه لا يناسب موقعه كفقيه.

الامام التقى به –انظر الى النور، كما قال تعالى: ومن لم نجعل له نور فما له من نور اي لا تنفعه المواعظ ولو كان الواعظ امام معصوم – قال له الامام: ((يا ابن مسلم تواضع)) .

كما هو موجود في اصول الكافي سيرة الامام الصادق(وذكر في بحار الانوار وميزان الحكمة) إنه ستة اشهر يبيع تمر على باب الكوفة مع إنه فقيه ومن بني ثقيف، عابوا عليه واعترضوا لكن هو امتثالا وعملا بقول الامام له، قال لهم : لن ابرح باب المسجد حتى يرضى عني ابو عبد الله .

هذا إنسان ليس لديه علم فقط فالعلم تحصيله وامتلاكه سهل، لكن هذا لديه نور، ذهبوا للإمام، قال لهم الامام: بلغوه السلام وقولوا له: ((لقد رضينا عنك))، فعاد الى سابق عهده، وبقمة عطاءه ونورانيته.

بالنتيجة فإن اهل البيت(عليهم السلام) بشكل عام والامام الحسين بشكل خاص هو ليس دليلا على وجود الله فقط بل هو دليل هداية ورحمة.

نحن عندنا نقول إن لنا دور في تعريف العالم بالإمام الحسين ليس لأننا نحتاج العالم، بل لان العالم محتاج الى رئفة الامام ونوره.

نحن نرى إن العالم اما فيه جانب الضعف والمسكنة او فيه جانب التسلط والظلم بينما الامام الحسين يبين لنا ويميز لنا الفرق بين المرحمة والمسكنة، يريدنا أن نكون من ذوي المرحمة والسيف في يدينا.

أن نقول كما قال مسلم ابن عقيل عليه السلام:

[رُدَّ شعـاعُ الشمسِ فاستقرَّا – أخافُ أن أخــدعَ أو أغَرَّا]

أن نكون من ذوي المرحمة ونقول ما قاله العباس عليه السلام

[يا نفس من بعد الحسين هوني–وبعدن لا كنتي او تكوني]

أن نكون من ذوي المرحمة ونكون كالقاسم الذي قطع شسع نعله في الميدان فلم يبالي بالجمع طأطأ راسه ولم يأبه بهم.

أن نكون زينبين إذ كانت الرؤوس من حولها، والشمات من حولها لكنها لم تنكسر.

التأمل الثاني: أختيار أهل البيت عليهم السلام

قال تعالى : {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (الأنبياء:٧٣).

وفي اية اخرى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}(السجدة: ٢٤).

فهذا الجعل هو جعل أختياري، كما تشير ذيل اية السجدة الذي هو ما يهمنا وهو الاصطفاء، فالله تعالى وفق اي أساس يصطفي ويجتبي ويرتضي ويختار؟

هناك عبارة للشيخ الصدوق جداً عميقة يقول فيها((الإصطفاء إبتلاء))، فنحن عندما نريد أن نرفع مستوانا نقول: "يا ليتنا كنا معكم"، أنظر(معكم) وليس(منكم)، لان المِنية تختلف ومرتبة اعلى، بل نستطيع أن نقول: إن من نعم الله تعالى علينا إنه لم يصطفينا لنبوة مثلاً، لان وجودنا هذا يسمى "الوجود الوسطي".

قال تعالى:{ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...}(الرعد: ١٧)، فالفيض ينزل ولكن ليس بقدر العطاء الالهي إنما بقدر تلك الاودية، بقدر سعتها وتحملها للعطاء الالهي، والوادي هنا معناه القلب.

فعن الامير: "القلوب أوعية وخيرها اوعاها"، هنا بعض المتأملين يقولون(اوعاها) ليس بمعنى الوعي الفكري بل يعني الوعي الاوسعي اي العمق والسعة (من الاتساع)، القلب الذي يتسع ويتحمل الضربات والبلاءات والمحن في هذه الحياة الدنيا.

فالذي تضيق نفسه عند بعض البلاءات هذا لم ينتفع من تلك الأوسعية التي وضعها تعالى في داخله، وإلا فإن الله لا يكون عادلا–حاشاه– إذا أنزل البلاء ولم يكن وعاء هذا المبتلى ليس بقدره.

لذا فمقياس الاصطفاء للمصطفين وإجتباء المجتبين، هو{ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}

وهنا سؤال: أليس بالأصل الصبر يأتي بعد الاجتباء، اي لما يصبح إمام هو يصبر، حيث نجد في زيارة الصديقة الطاهرة(عليها السلام) تبدأ ب((يا ممتحنة امتحنك الله قبل أن يخ...فوجدك صابرة)) – وهذه الزيارة هي الزيارة الوحيدة التي لم تبدأ بسلام– بالنتيجة في ذلك العالم لما اصطفاهم الله تعالى عرضت عليهم البلاءات والشدائد، فالنبي(صلى الله عليه واله) كان مطلوب منه أن يكون اوسع من المحيط الذي هو فيه.

الناس كانت في كربلاء ترى السيف والرمح، ترى الذبح والسلب، بينما الامام يرى الفتح الذي قام باليقين.

في دعاء البهاء –الذي هو من مؤكدات مستحبات اعمال سحر شهر رمضان، لكنه مستحب ان يقرأ دائماً– واحدة من فقراته تبين لنا معنى كيف يصطفي الله تعالى الانسان قال: ((اللهم إني أسألك من علمك بأنفذه))، لماذا لم يقل (بأوسعه/ بأكبره)؟

لان في بعض الاحيان العلم اوسع، ويسع جميع من يتلقاه، لكن لا ينفذ صاحبه به في اول إختبار من البلاء فيراه نصرا، ولا ينفذ العلم من العسر فيرى اليسر، لا ينفذ العلم من الشدة فيرى الفرج، هنا تبدأ مسالة الزلزلة في الاقدام.

واحدة من افضال الله تعالى على الأولياء من غير الانبياء والاوصياء والغير المصطفين الذين لا اصطفاء الهي لهم بمعنى(الولوي او النبوي) هي الربط على القلوب، كما في قوله تعالى لإم موسى: {رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا}(القصص : ١٠)، بينما الذي لديه اصطفاء من رب العالمين هو يربط على القلوب، هو يثبت القلوب، يجعل به الله تعالى القلوب قوية عندما تقترب منه.

لذلك ترى قوة السيدة زينب(عليها السلام) لو تناسينا كل تلك السنين التي عاشتها مع الامام الحسين عليه السلام وركزنا فقط على السبعة ايام التي عاشتها بقربه تصبح بوجهه وتمسي في ارض كربلاء، كان الامام يجمع كل طاقته الروحانية والحنان والامان ويبثه فيها حتى دمعتها كان هو يمسحها بمنديله هذا ما يسمى ربط الحسين على قلب زينب عليهما السلام، فلم يُرى اربط جئشاً منها.

كذلك في زمن الغيبة الكبرى مطلوب منا أن نربط قلوبنا بقلب صاحب الزمان، من خلال ندبته، عندما تتذكره، هذا هو الربط، فلما يكون الانسان بمسافة بعيدة كأن يكون في مشارق الارض او مغاربها، وليس بقرب الامام من الناحية المادية كمجالس ذكره او المساجد او الحسينيات، الا إن الامام اذا كان موجود في قلب الانسان وأينما ذهب يتحقق مفهوم الربط على قلبه، في فقرة من دعاء نقول(اللهم واسالك بالإمام الحافظ إيمان المؤمنين، الراعي لهم أينما كانوا)، هذه العبارتين تجعل الانسان مرتبط بالإمام.

فأول مراحل الاصطفاء هي((الاستعداد)) فإن الله سبحانه يعرض على الناس ما سيمر عليهم سواء بالتذكير او الالهام او باي طريقة هو يريدها، فيبدأ الناس عندئذ يتمايزون بالرضا وعدم الرضا، مثلاً منهم من يقول: اللهم اعطني فأنا لا اصبر، ومنهم من يقول: اعطني حتى ارضى عنك، وهناك من يقول: اعطيتني او لم تعطيني انا راضي عنك بكل الاحوال، هؤلاء من وصفتهم الآية{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور: ٣٧)، وهناك قسم جوابه: (خذ حتى ترضا) هنا الانا ليست موجودة، الامام الحسين عليه السلام لما قالها كان قد جسد(لا اله الا انت) بهذه العبارة، (فخذ) يعني عطاء، و(حتى) تَرقب، (ترضى) انت يا رب، ومن ذلك نفهم لم كانت سورة الفجر بإسمه فهو تلك النفس المطمئنة التي كانت بين أسنة ورماح، بين عطش وجوع، بين خيام محروقات، وكان هذا لسان مقالها وحالها.

إن اطمئنان الانسان وسط الرفاه طيب وجيد وطبيعي، لكن إطمئنان وسط كرب وبلاء فهذا ما ينبغي أن يفهم بشكل إصطفائي.

وفي قوله تعالى:(إرجعي الى ربك) كلمة (ارجعي) عبارة جميلة تدل على إن الامام الحسين(عليه السلام) من الله تعالى جاء، ولعباده خدم، واليه رجع، ولإجل ذلك اعطاءه تعالى حتى ارضاه، لأنه ارضا مولاه فقالت الاية:(راضية مرضية).

فلا يوجد شيء اسمه عطاء بلا استحقاق فالحظ قرآنياً هو النصيب، والنصيب يعني استحقاق، والاستحقاق يعني استعداد، والاستعداد يعني عمل]، وهذا المعنى للحظ المغفل عنه. فالمحظوظ هو الذي يصطفى فينتج بالاصطفاء.

****

وهنا زيارة الجامعة الكبيرة تفتح لنا خمس ابواب في الاختيار الالهي في هذه الفقرات(اصْطَفاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَباكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَاَعَزَّكُمْ بِهُداهُ،)

فالاصطفاء كان بالمصطفى محمد، والارتضاء بحيدرة الكرار، والاختيار بسره المستودع الصديقة الزهراء، والاجتباء بالمجتبى، والعزة بمن قال هيهات منا الذلة سيد الشهداء عليهم افضل الصلاة والسلام.

اما ما معنى هذه العبائر لغوياً ؟

- **الاصطفاء:** هو جمع اناس مبرزين مفضلين مكرمين ومن ثم نصطفي واحداً منهم، ومن هنا تبين لنا إنه خاتم الانبياء، حيث إن اوسعية النبي (صلى الله عليه واله) بالقياس للأنبياء هي إحاطية، يعني هو يحيط بهم لأنه اوسعهم، كل الانبياء سواء كانوا من اولي العزم او غير ذلك، كلهم كانوا تمهيدا لنبوة الخاتم.

هناك عبارة لسيد دستغيب يقول: عمل الأنبياء هكذا، خصوصا الرسالات مثل نبي الله نوح وإبراهيم وعيسى وموسى عليهم السلام، كانوا يربون المجتمعات حتى يجعلونهم ذوي طاقة روحانية قادرة أن تستوعب شريعة النبي

الخاتم، فشريعة الاسلام شريعة عميقة ودقيقة تحتاج الى الكثير. لذا الناس تمهد شيء فشيء الى أن تصل الى مرحلة تستطيع أن يستوعبها.

العالم الى الان هو غير مستوعب فكرة إن هناك اصطفاء اي ان يختار الله تعالى نبي ووصي بعد وصي لان المسالة صعبة، العالم قد تعود على ديمقراطية في اختيار شخص أياً كان المهم أن يكون الاختيار بشري، بينما تعالى يقول{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(التوبة :١٢٨).

هذا يبين لنا موقعية النبي(صلى الله عليه واله) ليس بعد رأي الانسان، ليس ما يرى الانسان بل قبل راي الانسان، وهذا يُعلم المجتمع على الانضباط، الان القوانين العالمية مثلاً في مسألة شرب الخمر فهي من الاشياء التي عجزت عنها الانظمة والقوانين من ضبط الناس ومنعهم عنها، مرة سنو ضريبة، مرة حددوا السماح لعمر معين، مرة سمحوا في اماكن معينة ومنعوها من اماكن معينة، بل إن الدستور الامريكي غُير لأجل هذه القضية، مئات المشاكل التي تحدث من وراء هذه الامر.

بينما لما جاء الاسلام لا رقيب ولا قانون ولا سوط قال: الخمر حرام أوجد في نفوس المسلمين الانضباط تجاه هذه الامر.

لذلك نحن نؤمن أن الايمان قوة، المؤمن الذي يرى هذا الفعل من الخبائث اي إنه لا شيء اصلاً، يجعله قوي أن يبتعد عن فعل او لذة او شهوة محرمة؛ الذي يؤدي فريضة الصلاة يستطيع أن يبرمج يومه وحياته، فهذا الإنسان القوي بالله تعالى، قوي (بلا حول ولا قوة الا بالله).

لذلك ((الاصطفاء أن تختار صفوة الشيء من اجل شيء لفعل خاص، كما أصطفي النبي(صلى الله عليه واله)))

****

▪ **الارتضاء:** هو اختيار خاص لفعل خاص، مثلا في المدارس لدينا، المدير يتم اختياره لمهمة خاصة لكي يدير كل ما في المدرسة.

الاب والام تعالى ارتضى قيمومة الرجل على المرأة، فالمرأة لديها طاقة هائلة على تنظيم الامور، والرجل لديه طاقة هائلة على إدارة الامور.

النبي الخاتم يقول للأمير((يا علي انا اقاتل على التنزيل وانت تقاتل على التأويل)) فمهمة القتال على التأويل لا نقول إنها أصعب من مهمة النبي(صلى الله عليه واله)، لان طاقة النبي اوسع. لكن نقول: إنها مهمة اتعبت كل من أتى بعد النبي(صلى الله عليه واله).

فالنبي(صلى الله عليه واله) كان يقاتل أناس هويتهم العقائدية ظاهرة وواضحة، بينما الامام علي(عليه السلام) أبتلي بناس ظاهرهم يحمل عقيدة التوحيد، هذا يراد له نموذج خاص لمهمة خاصة، لذا قال علي (عليه السلام) ولم يقلها قبله احد قبله((انا فقعت عين الفتنة))، وذلك لان علي(عليه السلام) يملك هذه الاوسطية التي تهيمن على الذين يريدون أن يعرفوا الحق، لذلك أبن ابي الحديد مع إنه معتزل وليس شيعي، لكن عندما يتحدث عن الامير يضطر ان يجلب قاعدة جديدة يقول فيها: (يجوز تقديم المفضول على الفاضل) لانهم يعلمون إن علي(عليه السلام) هو الافضل، هذا بالنسبة للإرتضاء.

****

▪ **الاختيار** عبارة عن تفضيل الشيء وتميزه على كل شبه له، فالسيد الزهراء(عليها السلام)هي سيدة نساء العالمين. كل إمرأة او رجل يريدون ثقافة الدبن بالمعنى الحقيقي والالتزام والسير الى الله سيرا حثيثا فها هي الزهراء(عليها السلام) النموذج الامثل، وذلك عبر تتبع كلماتها، سيرتها، خطبها، فهي فضلت وميزت على كل الذين من جنسها فصارت سيدة النساء من الاولين والاخرين.

****

▪ **الاجتباء** هو جمع الشيء وحفظه بعد تشتته، وفعلاً بعد علي والزهراء(عليهما السلام)أهل البيت بقوا كما ورد عن ابن خلدون: بعد شهادة علي ((انكشف ظهر آل محمد)).

علي(عليه السلام)الكرار الغير فرار الذي ارتقى المنبر فهدرت منه الكلمات كهدير الماء من النهر، وإنسابت من بين يديه البلاغة كما ينساب المطر من الغيم، وهذه السيطرة والعنفوانية والشخصية والقوة، بلحظة يقتل على يد اشقى الاشقياء، وكما ورد في وصف حال اهل البيت ((صار يتخطفنا الناس)) وهي عبارة مشهورة عن الامام الحسين(عليه السلام).

هنا برز المجتبى–عشر سنوات او نيف– الامام(عليه السلام) يحفظ كينونة اهل البيت دون أن تنتثر، بقى محافظ عليها، دخلوا في وسطهم اهل الدنيا وأرسلوا لهم الاموال، حاولوا اغراهم بأشياء كثيرة.

ففي زمن الامام الحسن(عليه السلام) بدأت فتن من الداخل وكانت سابقة خطيرة إن من البيت العلوي(المنتمين له) بدأوا يدخلون عليه ويسمعوه كلمات قاسية جدا كقولهم(يا مذل المؤمنين).

كما وإن بعض الكتاب كطه حسين والعقاد والشرقاوي، من بعض مؤرخينا يقولون إن الامام الحسن ما كان يُحسن السياسة!!-مع الاسف-لكن الامام حفظ هذا الوجود، حفظه وأعده وأهتم به، فصنع منه كربلاء. [فالإمام الحسن كربلائي الشهادة، وكربلاء حسنية الولادة].

****

▪ **وأعزكم:** كانت مهمة اساسية لآل أمية أن يظهروا آل النبي اذلاء، هدف من اهداف آل أمية ان ترى آل محمد بذلة وبمسكنة عندما يحملون نساؤهم، من بلد الى بلد.

أمرأه علوية على نوق هزيلة مع قتلة أخوتها، الامر صعب ولا يمكن تصوره، واحدة من أهم السياسات السابقة التي تعمل لغرض أن تذل الناس هي أن يقوموا بلف علمهم ويأخذ منكس، اما ما فعل مع قافلة أهل البيت لم يكتفوا بذلك فقط بل رفعوا الرؤوس على الرماح ونكسوا الأعلام بالأرض، وكان الهدف من كل ذلك الاذلال، لكن لم يصلوا لهدفهم هذا.

التأمل الثالث: وَ عَنَاصِرَ الأَبْرَارِ

قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ○ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ}(المطففين:١٨-١٩)

في هذه الزيارة مع ما فيها من ذكر لمقامات الائمة، وفضائلهم وفواضلهم، الامام في نفس الزيارة يقول((موالي لا أحصي ثناءكم))

(لا احصي) مع عظم ما موجود في الزيارة لكن يبقى هذا الخط مفتوح، وقول الامام: لا اقدر على وصفكم وبيان الفضائل الموجودة فيكم إنما كان يتحدث الامام بما يليق بالناس ومستوى فهومهم ومدركاتهم، وإلا الامام – على حد تعبير الشيخ المفيد– "الامام والامامة فوق ما لا يدركه الناس بما لا يدركه الناس".

فهذه فرصة للجميع أن يتعرف على أهل البيت ويستخرجون ما يجعلهم يقتبسون من نورهم (صلوات الله عليهم).

وهنا سنتطرق لعبارة في الزيارة الجامعة الكبيرة تقول فيهم إنهم((عناصر الابرار))، هنا ما المقصود بالعناصر؟ والمقصود بالأبرار؟ وكيف يمكن للإنسان أن يجعل أهل البيت عنصر له ليكون من الابرار؟

العنصر له ثلاث معاني:

المعنى الاول: بمعنى عَصر

يعني الشيء الذي يُستخلص، فهناك من هم عصارة لإهل البيت من الناس الطيبين. مثلا في كربلاء تتمكن أن تعبر عنها بإنها ليست عصارة بل عاصرة، عصرة الناس فأخرجت لنا هؤلاء الثلة من الابرار.

كل إمام معصوم عمله إستخراج مجموعة من الناس، مصطفين، مرضيين، مختارين.

الان كل معصوم إستخلاص عصارة من البشرية ككل وهو بدوره يستخرج من البشرية نماذج خاصة.

ومن خلال هذه العبارة نستطيع أن نعبر عن آل محمد من ناحية صناعة الناس؛ انهم مصنع يصنعون الابرار الذين من خلالهم تعرف آل محمد.

أنظر الى كربلاء... في كربلاء نحن لم نعرف إن لأهل البيت انصار فقط لان في كل زمان هناك انصار بل عرفنا إن هناك طبقة متقدمة من الأنصار يعبر عنهم الامام الحسين (عليه السلام) بأنه(لا أعلم)و (ما علمت) بالنتيجة لا يوجد أنصار مثل هؤلاء.

والامام لما يقول(لا اعلم) فإن علم الامام علم محيط بكل شيء بإذن الله وهو العلم الالهي النافذ، فهذه واحدة من الاسرار التي تصنع الرجال.

انظر الى النبي(صلى الله عليه واله) لما يتحدث عن عمار يقول له: "تقتلك الفئة الباغية"، هنا الناس انقسموا الى قسمين:

الاولى: هم الذين ينتظرون معرفة الحق من خلال مقتل عمار، يعني متى ما قتل عمار يعرف الحق من خلال معرفة مع من كان عمار.

والثاني: لا، قالوا اساسا نحن نعرف إن عمار على حق، بل نحن عرفنا عمار من خلال انتمائه ومرافقته لعلي عليه السلام لان الامام علي هو عصارة الابرار، كما ورد((يدور الحق حيثما دار)).

القاعدة العامة تقول:" اعرف الرجال بالحق، ولا تعرف الحق بالرجال" الا مع محمد أل محمد القاعدة معكوسة وهي ان الحق يعرف بهم.

وهذا المطلب متحقق ومذكور في كتاب الله، فتعالى لما علمنا أن نطلب منه أن يهدينا لصراطه المستقيم الذي هو الحق والمنهج قال(صراط الذين) كأن في ذلك إشارة إن صراط الحق موجود دائما لكن لا يعرف إلا من خلال اهله. فالصراط الحق واحد لكن السُبل متعددة. فلم ترد لفظة الصراط بالجمع في كتاب الله ابداً.

فالأبرار كميثم وكميل وعمار هؤلاء سُبل لكن الصراط واحد فقط وهو محمد وال محمد لذا مهما كان الانسان كبير لا تنظر له على إنه صراط ابداً لأنه مهما يكون السبيل جيد ممكن أن تجده او لا تجده، لكن الصراط موجود دائماً.

أبان ابن تغلب أتاه رجل– إن من اجمل المعارف التي نحصل عليها لما نركز على اهل البيت ونرى ما معهم ومن معهم ثم يرى من ورائهم– الان الاكثر انصار الامام الحسين ام اعداءه؟ قطعا الاعداء، البعض من المؤرخين يقولون: أنهم لا يؤمنون إن في كربلاء هناك سبعين نفر فقط، لماذا؟ لأن استيعاب أن الحق أقل انصارا ويثمر شيء صعب، وصعب جدا!

يراد له أن يعرف الانسان هذه العبارة(عناصر الابرار)، وهذه نظرة سقط فيها كثير من المسلمين في زمن الامام علي(عليه السلام). فأحدهم كان يسأل عن عدد الصحابة الذين استشهدوا مع علي(عليه السلام)، فقيل له: كأنك تريد أن تعرف حق علي من خلال الذين استشهدوا معه؟ قال: نعم! فقيل له: على عقلك العفى! نحن ما عرفنا فضل الذين استشهدوا من الصحابة الا بعلي، والأصل نحن ما عرفنا الانسان الصحابي ام لا، إلا من خلال مجاورته لعلي(عليه السلام).

لذا نحن نعرف فضل الشهداء لأنهم أستشهدوا بين يدي الامام علي(عليه السلام) بغض النظر عن القلة او الكثرة، إنما هي ارقام والقائل من؟ الله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}(المؤمنون :٧٠)، هناك غريزة بداخل الانسان أنه يتأثر اذا كان العدد قليل.

اذا [المعنى الاول: إن الامام المعصوم عصارة، يستخرج ما فيك من قيم].

لذلك نحن مطالبين أن نعرض انفسنا بين فترة وأخرى على اهل البيت مثلما يراجع أحدنا الطبيب ليتأكد من سلامة اعضاء بدنه، كذلك أهل البيت يريدوننا أن نراجعهم في قيمنا وافكارنا تضحياتنا وصبرنا من خلالهم.

وإلا نحن انما نذكر مصائبهم ولسان حالنا:

((أنست رزاياكم رزايانا الأولى... سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

وفجائع الأيام تبقى مدة... وتزول و هي إلى القيامة باقيه))

نحن اذا ما فكرنا بشكر ابو ذر مثلا لأنه نصر علي (عليه السلام) فلو ثنيت لنا الوسادة لسمعناه يقول: شكرا لعلي الذي نصرني على نفسي فجعلني معه. الشكر ليس لي لأنني رافقته بل الذي يرافق علي(عليه السلام) هو مدين بالشكر لعلي.

بالنتيجة المعنى الاول للعصر هو أنك في اللحظات الصعبة والابتلاءات يعصر الانسان ليستخرج منه أفضل ما فيه من فطرته، ومما فيه من نور كما جرى في كربلاء.

المعنى الثاني: بمعنى عنصر

يعني كل واحد من هذه الموجودات على هذه البسيطة فيه ما فيه كما ورد :((النَّاسُ مَعَادِن كَمَعَادِن الذَّهَب وَالفِضَّة،))

وهذا يتطلب من الانسان أن يعرف نفسه من اي معدن هو؟

فهناك من المعادن الحديد هو قوي ولكنه يصدأ عندما يبتعد عن مصدر النور، لا يتحمل ان يبقى بعيدا عنه، وبعض الناس هكذا يصدؤون لا يتحملون ان يبتعدوا عن اهل البيت، عن مجالسهم، عن زيارتهم، وهكذا انسان ينبغي ان يبقى دائما قريب، عندما يشعر الانسان ان في داخله قسوة او جفوة وضعف في الاقبال عليه ان يرجع هنا للمصدر.

وهناك من هو نحاس يلمع ويبرق لكنه رخيص عندما تضعه في اي مكان لا يتحمل بسرعة ويعوج!

هناك كمعدن الزئبق غالي وثمين لكنه يتشكل مع الشكل الذي يتشكل عليه، ان جعل شكله دائري تشكل، أن جعل مثلث تثلث، بعض الناس هكذا.

هناك ايضا اناس كمعدن الفضة يلمع ولا يصدأ ويلبس لكنه ليس غالي، بمجرد ان تقع عليه محنة من محن الدنيا يرخص.

وهناك الفولاذ قوي جدا ولكنه اذا وضع تحت الضغط يتأكل فتأتيه بعد سنوات تجده عبارة عن حديد هش.

اما الذهب فهو يبقى غالي وثمين لا يتعرض لصدأ اينما وضع، وكيفما شكل يبقى هو...هو.

فلو ركزنا على هذه الاصناف من المعادن وعكسناها على اصحاب اهل البيت لوجدنا ان اصحابهم كانوا من هذا النوع الاخير.

مثل جابر ابن عبد الله الأنصاري هو ذهب ابن ذهب. والده استشهد مع النبي في إحدى معارك النبي –في احد كتب سيرة النبي لسيد جعفر العاملي– يقول: النبي قال لهم حشر عبد الله فقال له تعالى: ماذا تتمنى؟ كان من اوائل

الشهداء قال: أتمنى ان ارجع مرة اخرى، وأقتل بين يدي النبي (صلى الله عليه واله).

برير ابن خضير يقول((والله لو أعلم أنّي أقتل، ثم أحرق، ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك،))(إقبال الأعمال، ج٢، ص٥٧٦).لانهم عناصر استخرجت من قبل النبي والامام.

جابر هو جابر في زمن النبي وعلي والحسن وحتى في زمن الامام الحسين ومع الامامين السجاد والباقر، لم يتبدل، لو صبوا عليه الدنيا بجمالها وزبرجها وزخرفها ما تبادل ولا تخاذل ولا تغير.

لذلك [المعنى الثاني للعناصر هو إن أهل البيت لا يظهرون جوهر الانسان بل هم يصفونه]

وهذا معنى جديد غير المعنى الاول الذي يكون انت معدنك ذهب ولما تأتي لأهل البيت يخرجون معدنك للخارج، اما الثاني لا هم يصفونك ويحولونك من الظلمة الى النور، من اللاشيء الى كل شيء.

وهذا كثيرا ما نحتاجه خصوصا لا بناءنا وبناتنا مع سيد الشهداء، المفترض الانسان الذي يلتصق ويتعلم من مجالس أهل البيت يُرى عليه معالم القوة، يقال له: من اين لك هذا؟ يقول: من الحسين عليه السلام. هو استخرج ما فيه فأخرجها الى العلن بعد ما كنت لا شيء.

المعنى الثالث: بمعنى انهم يغيرون الانسان من حال سيء الى حال حَسِن.

كنموذج لنتحدث عنه وهو عمار ابن موسى الساباطي، هذا كان يدخل بمجلس الامام ويقاطع حلقة الدرس، يقف أمام الامام ويقول له: بلغني انك

قلت كذا وكذا، ما هو دليلك؟ الامام يرد عليه، ثم يقول له: من اين لك هذا؟ يعني يظهر للإمام عدم اقتناعه، الامام يقول له: من رسول الله، فيرد ان بينك وبين رسول الله مئة وعشرين عام؟ فيقول له الامام: انما هو قول عن ابي عن ابيه عن جده عن ابيه عن رسول الله محمد(صلى الله عليه واله)، نحن قوم نتوارث العلم كما تتوارثون المال.

فأهل البيت هم أهل(زقوا العلم زقى، احدهم يورثوه للأخر) لذلك صغيرهم جمرة لا تداس، وكبيرهم نجم لا يقاس؛ بل أن اهل البيت ليس لهم كبير وصغير فكلهم كبار.

بالأصل الاختلاف بين أهل البيت وغيرهم أنهم لا يدرسون عند أحد، فهل سمعت أن الامام الصادق (عليه السلام) الذي يُدرس الكيمياء، الاحياء، الطب، هل علمت من هو أستاذه؟ السؤال هنا يقطع الاخر عندما لا يريد أن يقتنع يبقى على وضعه ولا يتحرك صوب الحق.

الامام الباقر(عليه السلام) لما ذهب الى هشام ابن الحكم، وقال له: يا أبن رسول الله الا تبارزنا بالرماية، الامام فاجئه فأخذ السهم وصوبه في الهدف، ثم أخذ الثاني وصوبه في نصل الاول، ثم أخذ الثالث وصوبه في نصل الثاني، وهكذا حتى وصل للسهم العاشر. فقال له: من اين تعلمتها؟ الامام أجابة على قدره فقال له: لقد تعلمتها عندما كنت صغيراً، فهذا السؤال بالأصل خطأ! لان هكذا سؤال لا يقال لأهل البيت، لانهم اصحاب العلم الالهامي(اللدني، من عند الله).

لذلك لما يأتي الساباطي ويقول ذلك للإمام (من اين لك هذه الادلة) الامام يجيبه حتى يُسكته فيخرج، وهذا الشخص من الفقهاء الكبار وفي اخر

الامر مال لأهل البيت لكنه ذهب الى فرقة الابطحية وهي فرقة منحرفة عن خط أهل البيت، هم يؤمنون بإمامة عبد الله الابطح. وينتظرون ان يخرج وينقذ العالم، وهم فئة قليلة، فهو لما اهتدى ذهب اليهم، ذهب للجهة الخطأ.

ماذا فعل الامام، ينقل محمد أبن مسلم يقول: دخلت على الامام فوجدته يقول: اللهم هب لي عماراً، وما هي إلا أسابيع او أيام او شهور ورجع عمار الى الامام، فصار من فقهاء آل محمد.

ألان إذا دخلت على الحر العاملي بوسائل مستدرك سفينة البحار، كل المصنفات الفقهية تجد إن عمار الذي كان منحرف بعيد تجده من كبار فقهاء ورواة الحديث بل من مصادر الرواية التي يعتمد عليه اعتماد كبير، لماذا؟ لأن الامام عصره، واستخلصه، الابرار ليس الناس العاديين.

في كتاب محمد تقي مولوي عن سلمان يقول النبي(صلى الله عليه واله): "تعلموا ادب سلمان". ادب ليس ما هو معروف من الآداب العامة، بل آداب التعامل مع أهل البيت، عمره في الروايات أكثر من مئة كان كبير جداً. لكن عندما يدخل على الحسن يقبل يده، والامام كان بعمر الطفولة صغير جداً، يُقبِل ضاهر وباطن يده.

ادب سليمان أن لا تكون شيء مذكور امام آل محمد، لا تكون شيء، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} هذا ليس قبل الموت، فضيلة هذه الآية أن تطبقها أثناء حياتك امام آل محمد، في قبالهم لا تكن شيء مذكورا.

إن ذرة شعور بالمنية والفضل لمن يحظر او يحيّ أمر محمد وآل محمد ينتفي عنه معنى الادب مع اهل البيت(عليهم السلام)، ودليل على ان هناك

خلل في قلبه، المطلوب ان يشعر بمنيتهم عليه لا منيته هو عليهم. لانهم اختاروه واصطفوه لإحياء امرهم وحضور مجالس ذكرهم، نعم يشعر بالغبطة والبهجة.

لذلك أهل البيت الذين كانوا يحيطون بهم كانوا لا يحتاجون أن يجاهدوا انفسهم ليبقوا مع الإمام لانهم بالأصل لا يرون غير الامام.

لذلك عمر ابن سعد هذا المسكين يقول له الإمام((وكأني أرى رأسك تتقاذفه اقدام أهل الكوفة))، أين أنت ذاهب؟ أهؤلاء تنصر وإيانا تخذل؟! هذه الكلمة من المفروض تجعله يهتز ويستيقظ حتى يعمل بعنصرية الابرار لكنه لم يستقبل، لذلك قال:

[أ أترك ملك الري والري منيتي]

لأنه بعيد عن عناصر الأبرار لذا لا ينتفع من عنصرية الابرار؛ بالمقابل نظرة واحدة منه الى زهير والحر قلبتهم.

****

قال تعالى:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ}

لما تأتي(كلا) يعني ما بعدها مهم، يوجب علينا الانتباه، يعني ما يأتي بعدها جداً محوري في حياتك، دقق به، أشتغل به، ركز عليه.

هل هذه الآية لا تتحدث عن الابرار بل عن كتاب الابرار، فالآية لا زالت لم تتحدث عن الابرار، ثم قالت(وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ○ كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، تريد الآية تعرفنا عن اشياء تخرج من الابرار{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ○خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}، ففي مثل هذا فليتنافس الناس ان يكونوا من الابرار ليس في القيامة التنافس بل في الدنيا.

حيث هناك(علويين- علويين- عليين)

فالعلويين هم اولئك الذين نظروا للأمر من علوهم، دققوا وراوا ان الخيار بين الحق والباطل فرق كبير وليس اربع أصابع-كما يقولون- نضروا من علوهم ان المقارنة بين الحق والباطل من المفترض الا تحصل لذا ركضوا ركضا الى الحق.

اما **العلويين** هم اولئك الذين أشرب فيهم حب علي عليه السلام، وهو لا يشير الى علويّ النسب فكم من علوي ليس عُلوي، وكم من عُلوي ليس عَلوي.

في جيش الامام الحسن(عليه السلام)عبيد الله ابن عباس أخو عبد الله ابن عباس كان عسكري قوي شجاع مقدام فجعله الامام على رأس المعسكر، اتو عليه وطرقوا عليه الباب-انظر كيف يدخل الشيطان للإنسان من نقطة ضعفه- قالوا له إن الخليفة ارسل اليك أمانة في قبال مطلب لنا، وذهب من اجل تلك الهدية من جيش الامام الحسن الذي كله نور وقيم وإحترام الى ذلك المكان الموعود به فحفر حفرة فوجد صرة من الدنانير، قالوا له: انها مقابل ان تُخذل الناس وتدخل الخوف والضعف في صفوفهم، او تنسحب؟ فقال سأختار الانسحاب، وانسحب من جيش الامام لأجل تلك الدنانير!!

كما قال تعالى: {إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} (الإنسان :٢٧)، رغم إنها فانية لان الانسان مشكلته أنه ليس عِلوي، بمجرد ان ينظر من علو لا يرى الا محمد وال محمد.

اما **العليين** فهم ذواتهم صارت من المقامات العالية، كل من يقترب منهم يأخذ منهم علوا، او تأملتم بسيرة ابي الفضل ومسلم تجدهم عليين تأخذ منهم شيء انت تشعر بالعلو.

قالت الآية: (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) يعني فيه كلمة سر، لا يفتحه الا من يملكها، كتاب ليس فقط مكتوب بل محفوظ ومخزون، من يريد الوصول له عليه ان يملك الارقام السرية ليفتحه بها.

وهكذا كلنا في دواخلنا كتب مرقومة مفاتيحها مرة تجدها بالزيارة الجامعة ومرة بدعاء كميل ومرة بعبارة من العبائر، مرة بأية من الآيات، مرة بعمل من الاعمال المباركة، كثيرة هي اسرار الانسان وتنكشف له شيئا فشيء بعد ان يقترب من مصادر النور، وإلا فما الفرق بين الساباطي وابن الخطاب الذي كان يتتلمذ على يد الامام الصادق عليه السلام الذي انحرف انحراف كبير والامام ضل يدعوا عليه.

الفرق هو هذا الكتاب المرقوم الناس تهمله، فتح الشيفرة التي في داخل الإنسان فيظهر مواهب الله تعالى السنية الموجودة في داخله.

قال تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}(الشمس: ٨)، يعني مدفونة بالإنسان عناصر الفجور وعناصر التقوى، لذلك تلاحظ من يعرف أهل البيت يصبر معهم على الاذى والقذى، اساسا يبنون حياتهم الظاهرية على اساسها.

ميثم لم يحصل ولاية ولا زعامة لأنه بقى مع علي عليه السلام. مالك الاشتر بقى مجهول ويقتل بين المسلمين هذا الذي طالما ذب عن الاسلام، عمار ابن ياسر كذلك، هؤلاء لما تنظر لهم بالظاهر بنظرة سطحية تراهم ضحوا من اجل اهل البيت. لكن لما تنظر لهم من علوا ترى انهم غنموا...غنموا آل محمد.

لذلك ظاهر قول:(يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما)، قد يقول قائل أين الفوز مع القتل والتشريد والطرد والابعاد؟ الفوز معهم ما نرى صعوبته علينا.

لذلك سهل جدا على العليين ان يقرروا الانتماء للحسين لا يحتاجون لشيء لأنه امر طبيعي عندهم.

كان اهل البيت عندما يقترب الانسان منهم فينكشفون له ببعض من نورانيتهم يجعلون منه من المقربين أشبه بالذي لا يرى غيرهم. كما في علم الفيزياء هناك ما يسمى(النور الابيض الحاد)، وفي اللغة يسمى(مفرق البصر/ مشتت البصر) وهكذا أهل البيت يفرقون الابصار فالذي يراهم برؤية القلب يتشتت بصره عن كل شيء سواهم. بحيث لا شيء يسلبه منهم ابداً مهما كان وجرى.

السيدة قالت: (أبالقتل تهددني يا ابن زياد أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة)، فالذي لا يرى الحق لا يهاب الموت لأجله، اذا كان القتل عادة، لماذا لا يتركون الحق؟ لان الذي يرى الحق لا يرى أن القتل سببا لتركه والابتعاد عنه، بل القتل عادة لنا لأننا عشاق الحق، وأنظروا الى كلمة الاستصغار لعبيد الله ابن زياد.

هذا الذي لن يستطيع أي شيء في الوجود أن يعطيه لك، اينما ذهب الانسانية فراغ في فراغ، فالبشرية كالأنية الفارغة لما تضربها تحدث صوتا ورنة، البشرية الان هكذا لما تضربهم تسمع منهم الف رنة ورنة لأنها فرغت، فيها كل شيء الا آل محمد وبالتالي هي فارغة من كل شيء.

لذلك المرض، الفقر، البلاء يجعلهم ينهزمون، لان الفراغ يولد صدى، وهذا ما لا يوجد مع الذين يلتصقون بعناصر الأبرار؛ فالذي يقترب منهم يصبح معدنه معدن ثاني، فإذا نحن اردنا ان نحافظ على ابناءنا وهويتهم ليس كمتدينين فقط بل انسان ذو رسالة بالحياة. فلنجعلهم أصحاب قضية مرتبطة

بأهل البيت عبر تسجيله بمركز اسلامي، بمكتبة، برابطة، بمشروع قراءة او تأليف او لطم.

اي شيء وانظر الى الابداع الذي يتولد منه، فالقضية تجعل الانسان يتفانى. فهناك من يسعى ليبقى متدين وهناك من يسعى ليرقى بتدينه،

التأمل الرابع: كون اهل البيت أهل الذكر

قال تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}(النحل :٤٣).

بعض الاوصاف التي يطلقها القران الكريم على البعض وعلى فئة من الناس الغاية منها ليس فقط تعريفية بأن هناك مجموعة من الناس يطلق عليهم هذا الوصف او هذا اللقب، كلا! بل من اجل ان يستفز ما موجود عند الانسان من عقيدة الفضول التي تجعله يبحث.

مثلا نحن نعلم إن هناك(**ذاكرين**) وهناك(**متذكرين**)، وهناك(**مذكرين**)، لكن(**اهل الذكر**) يحتاج الى بحث وهذه ميزة ينبغي أن تكون ميزة خاصة بحيث الناس تبحث عن حامليها.

فلو فرضنا مثلا القران الكريم يقول فسألوا أهل الذكر واهل الذكر كُثر، ألا يوقع الناس في حيرة من امرهم؟ لمن يذهبون وممن يأخذون دائما القران الكريم عندما يحيل الاكثر الى الاقل، إذ لا يمكن أن يحيل الاقل للأكثر فهذا يسمى الاحالة الى الأخفى.

كذلك هذا منافي لحكمة الله تعالى وتدبيره ففيه توريط للعباد وحاشاه، بل الحكمة تقتضي إحالة الاكثر للأقل والاندر، لذا إن الله تعالى يُحيل الاكثر الى الاكبر(قدراً ومقاما)من المسلمين.

تعالى قال (كان إبراهيم امة) يعني لابد أن تكون كل أمة ابراهيمية تذهب الى ابراهيم وفي الحقيقة هذا تسهيل من الله ولكن ماذا تفعل للإنسان؟! تخيل كيف أن الله تعالى بسط لنا الامور.

ان التأمل بإسم اللطيف يفتح لنا افاق جميلة وجليلة واحد منها هو هذا أن الله سهل طريق الهداية على الناس، لتتمكن أن تصل اليه بسرعة.

وذلك من خلال:

اولاً: جعل الهداة مميزين.

ثانيا: ميزهم في المتميزين.

فالاصطفاء والاجتباء والارتضاء والاختيار والاعزاز هذه الخمسة تبين أن الامر غير قابل للتثنية.

لذلك عقيدتنا لن ينقذ الامة الا معصوم، لأن كل شخصية غير معصومة قابلة للأخذ والرد، بينما المعصوم يعطي الامور واقعيتها.

هناك عدة استنباطات من قوله: {إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}

الاول: إن استنباط هذه الآية إن كنتم تعلمون من هم أهل الذكر، وإلا كيف تسالهم أن كانوا مجهولين لديك، وغير معلومين عندك؟!

الله تعالى لما قال لنا{إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} عرفنا من هم، فهم اولئك الذين يعرفون انفسهم بأنفسهم من خلال سلوكهم ومعدنهم وأثارهم.

هناك عبارة جدا جميلة لإحد علماء ابناء العامة الالوسي صاحب تفسير روح المعاني هو من السادة لكن بقي من اهل العامة يقول: " لو أن النبي ما قال لنا اتبعوا علي لقال لنا علي بسلوكه أتبعوه".

فسلوكه يقول لنا انا الاعلم، الارقى، الاشجع، الاثبت، لكن النبي(صلى الله عليه واله) كان تكليفه{بلغ ما انزل اليك}، هذا التبليغ تبليغ حجة وليس تبليغ ايجاد، فإن كثير من الناس مثل سلمان وعمار وميثم ومالك وابو ذر هؤلاء لم يكونوا ممن يحتاج يوم الغدير، لإن ولايتهم للإمام علي (عليه السلام)

ثابتة عندهم قبل الغدير، إنما الغدير للعوام الذين ما فهموا عليا فأتاهم من الرب العلي نص بذلك، ومع ذلك لم ينفعهم التبليغ بالنص ولا وجود علي بينهم.

الثاني: في استنباط معنى{إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}أي ان{ إن كنتم تقدرون}، لان سؤال اهل الذكر يراد له شجاعة، ليس كل عالم أنذاك كان يتمكن ان يتنازل ليطرق باب الامام ويسأله، حتى يجيبه الامام. حتى أن بعضهم كانوا يأتون الأئمة في الليل بالسر، فيسالونه عن مسائلهم لأنهم يستنكفون من أن يراهم الناس في النهار، لذا فمن كانت لديه قوة وشجاعة وله نفس تتحمل وتعترف أنه محتاج لعلم الامام وإنه ليس الاعلم، فهذا الامر ليس هين على من يعتبر نفسه الاعلم، ان يطرق باب من يعلم ما يجهله لان الامر كاشف عن حق الامام واعلميته التي ينكرها ويدعيها لنفسه.

وهذه معضلة جعلت الامة تتخبط فهم كانوا امام خيارين فإن سألوا فهذا يعني أنهم يعترفون بأعلمية الامام، اما اذا لم يسالوا ضاعوا، فختاروا الضياع!!

الامام الحسين(عليه السلام) يجسد هذا المعنى بقوله: ((والعار اولى من ركوب النار))، مع انه ليس عار أن تسأل من هو اعلم، بل أن سؤال الامام شرف، لكن المشكلة في النفوس، لذلك تبقى الناس في تيه، وضياع ما لم ترجع الى محمد وال محمد.

معنى مفرد الذكر

الذكر يعني القران الكريم، فالذين يعرفون بواطن القران ومخارجه وألفاظه واسراره ومظاهره هم اهل القرآن.

لان القرآن الكريم ليس عبارة عن كلمات تقرأ هكذا، فإن اكبر مظلومية وظلم وقع بها القران الكريم أن جعلناه للقراءة فقط، المظلومية التي يعتقد بعض الناس انهم بالقراءة يرفعون معنى الهجر لكتاب الله.

لذا فمن الجيد عندما تعلموا ابناءكم على المداومة على قراءته، فلا تنسوا مع شكرهم على المداومة على قراءته وتلاوته أن تحفزوهم وتحثوهم على التدبر والتأمل بأياته، وبذلك تتمكنون من رفع شبهة أن الهجر يرتفع بالقراءة فقط، او وضعه في اماكن العمل او في الجيب للتبرك.

ومن هذا المنطلق اخواننا من علماء العامة يفسرون اهل الذكر بإنهم هم قراء القرآن الكريم، بينما ورد عندنا إن قراء القرأن الكريم في الروايات كانوا جالسين وكتاب الله معلق على صدورهم ورأس الامام الحسين امامهم، وكثير من قراء القرأن كانوا بجيش يزيد في كربلاء.

بالنتيجة أن قراءة القرأن الكريم لا تعصم صاحبها ولا تمنعه من أن يقتل القران الناطق.

الخوارج أ ليسوا كانوا ممن يعلقون القرأن على صدورهم، لكنهم ايضا كانوا يبقرون بطون النساء ضناً منهم انهن نسوة على مذهب اهل البيت.

الناس تفهم من قراءة القران الكريم صوة جميل وحسن، يحصل لهم تصور إن اهل الذكر هم هؤلاء القراء–مع احترامنا للقراء في هذا الزمان وكل زمان– لكن الذي يشط عن النوى القرآن يلعنه ويكون حجة عليه.

امير المؤمنين(عليه السلام) لديه كلمة في النهج الشريف عبارة جدا عجيبة وهي استنطاق من قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، ثم يقول تعالى:{وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} (الإسراء: ٨٢)

الان لما اعطيك دواء واقول لك اشربه في الصباح واذا شربته في المساء مثلا يزيد من مرضك، ويؤثر سلبا على صحتك! بلا شك لن تتناوله ولا تريده.

فالقران الذي هو شفاء ورحمة يزيد الظالمين نفورا، والآية دقيقة لم تقل الكافرين او المشركين او الملحدين بل قالت الظالمين، فالظلم يصدر من المؤمن والكافر، الموحد والملحد، لذا ممكن يصدر الظلم من قراء للقران فلا ينتفعون منه.

يقول الامير (عليه السلام) في نهجه القويم وكلامه القويم وإيحائه المستديم: ((أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ)) أي أن القرآن الكريم يوم الحشر اما شاهدا لكم واما شاهد عليكم".

فأنت الذي كنت تتلوا كتاب الله ورأس سبط النبي امامك هل تعتقد أن يأتي القران شاهدا لك؟ ام إنه سيأتي ويقول لك: أما قرات آيات فضلهم.

كما في رواية الامام السجاد(عليه السلام) نزل حريم النبوة في مسجد الجامع بدمشق وهو محل الاسرى، فجاء شيخ و دنا من نساء الحسين و عياله فقال: الحمد لله الذي قتلكم و أهلككم و أراح البلاد من رجالكم و امكن امير المؤمنين (يزيد) منكم، فقال له عليّ بن الحسين (عليه السلام): يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: ٢٣] قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك، فقال له عليّ بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت هذه الآية: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى } [الأنفال: ٤١] قال: نعم، قال عليّ: فنحن القربى يا شيخ و هل قرأت هذه الآية:{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣] قال

الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال عليّ: فنحن أهل البيت الذين خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال: فبكى الشيخ ساكتا نادما على ما تكلّم به و قال: بالله انّكم هم؟ فقال عليّ بن الحسين (عليه السلام): تالله انا لنحن من غير شك و حقّ جدنا رسول الله انا لنحن هم، فبكى الشيخ و رمى عمامته و رفع رأسه الى السماء و قال: «اللهم إنّا نبرأ إليك من عدوّ آل محمد من جن و انس». ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له: نعم، ان تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

((فلما تذهب الناس وتبتعد عن اهل البيت/اهل الذكر اين تذهب؟ عندما تبتعد عن اهل البيت تنحر أهل الذكر قربة للشمر! هذا هو الخطر)).

كتاب الله فيه (ذي القربى) وهي القربة النسبية، و(اولي القربى) وهي القربة السببية؛ واهل البيت جمعوا بين السبب والنسب.

اهل الذكر هم أهل القران، لكن اي قرأن؟ هنا القران ليس بمعنى القراءة لان القراءة–كما قلنا– لا تعصم ولا تنفع مع الذين فعلوا ما فعلوا ولدينا قصص كثيرة كقصة من رمى كتاب الله بالسهم ومزقه وهو يحكم الناس بإسم القرأن الكريم.

الامام الصادق(عليه السلام) يقول : "تستأكلون الناس بنا، ولا تقربونا"، هذا ذات الشيء يحكم بإسم القران ولما يكون خلاف هواه لا يعمل به..

فأهل القرأن ليس كما يراه الاخرون من وجه تبسيط، فيقال لأي قارئ أنه هو من اهل الذكر.

لذلك علي (عليه السلام) لم نسمع أنه قال: انا حافظ او افتخر بذلك، حتى بقية الائمة المعصومين هم لم يصدر منهم هذا المعنى، فحفظ اهل البيت للقران الكريم ليس بالمعنى **(الذكري والتلاوة)**، بل يحفظونه بالمعنى**(الوقائي)**، هم لا ينظرون الى الامر على اساس أن التفاضل بالحفظ بمعنى حفظ الآيات، إنما ينظرون للحفظ بمعنى رعاية ووقاية القران الكريم من التفسيرات المدسوسة.

الفرق بين التلاوة والقراءة

عندما نقرأ:{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}(الكهف: ٢٧)، ما يفهم من القراءة هي التلاوة، بينما الاستماع لقارئ القرأن لا يطلق على قارئه بأنه تالي لكتاب الله.

التلاوة من منطوق الكلمة يعني يتلوا اي يتبع ويجعل القران الكريم وآياته امامه يتلوها ويتبعها واحدة تلو الاخرى، اي يجعل القران اولاً وهو التالي، يجعل القران امامه وهو يسير ورائه، فلا يجعلوا القرآن عظين يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه.

إن ما يجعل القران بذلك اداة لتمرير ما يريده بل يكون هو اداة لهم يُسيرهم، لا يجعلون القران مآموم لهم بل إمام.

الامير(عليه السلام) لما يتكلم عن القران بالنهج – الغريب أننا نُتهم أننا لا نحترم القران– يقول: ((فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا))، اي ليكن القران الكريم امام لكم لا مأموم لكم، يعني لا تفسير آياته وفق ذوقك الشخصي.

في علم النفس هناك ما يسمي ذلك" مرحلة التصفير العقلي"، وهي مرحلة خطرة ونادرة: هي أن تأتي للقران ولا تجعل في ذهنك قضايا مسبقة تنطلق منها في كونها تنطبق عليه ام لا؟ في مسألة القرأن الكريم لابد من الرجوع لأهل الذكر خاصة.

ولكن عندما يأتي الانسان ويجلس بين يدي المعصوم لابد أن يجلس كالطفل(تأدباً) فيكون ممن آمن بقاعدة: انما القول فيما يقول ويقبل ويرفض آل محمد، فأمثال هؤلاء هم الذين يَنجون ويُنجون.

فلما أستشهد الامام الرضا (عليه السلام) كان الامام من بعده هو إمامنا الجواد– دقق نفسيا قدر وعلم وشأن الامام وهيمنته وسماته الامام الراضي المرضي– وكان المطلوب من تلامذة هكذا امام أن ينتقلوا من هذا الامام الى امام عمره سبع سنوات.

كان امتحان صعب، لهذا بعض فقهاء آل البيت فشلوا وأنجاهم الله ببصيرة بعد ذلك، كما ينقل إن ثلاثة منهم كانوا جالسين وقالوا من الامام؟ فقام احدهم وقال: مالكم كيف تحكمون هذا هو الامام– الامام الجواد– فدخل عليهم وهو طفل– فبالمقاييس العقلية كان قبول إمامته بعد الامام الرضا صعب– احدهما لم يطمئن فسأل الامام ليعرف هل هو الامام ام لا؟ قال له: يا ابن رسول الله أعليك إمام؟ قال: لا. قال: آمنت.

ذاتها هذه المقاييس التي وقع بها كثير من الناس بين الامام علي والامام الحسن (عليهما السلام)، لذا النبي(صلى الله عليه واله) لماذا يذكر هذه المعاني إنهم ((كلهم نور واحد)) لأنه يعرف الفوارق الظاهرية قد تجعل الناس تتخيل إن علي(عليه السلام)الكرار غير الفرار، صاحب ذي الفقار، ذو

السطوة والهيبة والجلالة والجمال الذي لوع الاعداء مره، وكم كان اعداءه كثر كما يذكر دعاء الندبة (المارقين، القاسطين، الناكثين) مع هكذا إمام مباشرة الشيعة تنتقل من امام بهذا الشآن الى الامام الحسن(عليه السلام) الذي في نظرهم ومقاييسهم العقلية له شأنية اخرى–على المستوى الظاهري– لذا صدر منهم ما صدر من ظلم للإمام ككلمة يا ((مذل المؤمنين)). هم لم يستطيعوا تقبل ما صدر من الامام لذلك اصبح امتحان الشيعة بالسل أشد من امتحانهم بالحرب.

صاحب العقل الصفري يقول: سمعا وطاعة يسلم امره للإمام، لذا فالاختبار عندما تكون المسالة بين التسليم لأمر الامام لما يريده لا ما يريده الانسان نفسه، وخاصة لما يرون إن الامام يطلب منهم أن يرجعوا الى الوراء ولا يكونوا بالمقدمة هنا الاختبار الاصعب.

اقرأ عهد الاشتر ورسالة الامام الصادق(عليه السلام)لأبن منظور انظر كيف تحدث معه الامام علي(عليه السلام).

الامام هو لا يربي اناس ابهات بل يريد أناس قدوات متواضعة بين الناس حتى يمررون هذه العقيدة والنفسية للأجيال التي تأتي.

لذا فأهل الذكر هم أهل القران بالمعنى الثاني وليس الاول، لان الاول ليس شيء يذكر ابداً.

لدينا رواية ((من يقرأ خمسين اية في ليله ويومه عد من الذاكرين))، لما تتأمل بهذا المعنى لا يمكن أن تفهم منه القران بالمعنى الظاهري فقط.

الامير يقول: (واعتلج القران في نفوسهم) اي امتزج فصار منطقهم الصواب، منطقهم يعني سلوكهم وافعالهم، لذلك القرآن له اهل يعرفونه، كيف يتكلمون به.

***

أحتجوا على القرآن الناطق بآية من القرآن فقالوا للحسين معترضين على خروجه لكربلاء بقوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(البقرة :١٩٥)، بينما أهل القرآن هم وحدهم من يعلمون معناها حيث قال الامام الصادق(عليه السلام): ((انها والله لتهلكة الاخرة)).

فالتهلكة لما تجلس في البيت ويزيد يحكمك، لما تصلي بالمسجد ويزيد هو الحاكم، لما تقول الله اكبر وانت ترى يزيد اكبر من ربك فتهابه وترضى بتوليه عليك، كما يقال:((الناس كانت على دين ملوكها))، التهلكة أن يحافظ الانسان على بدنه ويمزق دينه، يحافظ على رأسه ورآس ابن بنت النبي على الرمح.

التهلكة أن يقول الانسان:

[أأترك ملك الري والري منيتي * أم أصبح مأثوما بقتل حسين]

التهلكة أن يتعذر الجعفي بما عنده من أمانات الناس، ولا يطيع أمانة ربه لما قال له الامام: هل تأتي معي، قال له: لديه آمانات للناس، فأخذ امانات الناس وخذل امانة ربه.

فالتهلكة أن يوضع القران في غير موضعه، تخيل أنت اين وصل الناس بالذكر(القرأن الكريم) عندما يطبق على الامام الحسين بينما الامام ماذا يجيبهم؟ أجابهم الإمام((بشاء الله أن يراني قتيلا))، وفيه اشارة لمعنيين:

المعنى الاول: فهل يشاء الله امرا قبيحا؟ هل يشاء الله خذلان او تهلكة المؤمن؟ لكن هي للأسف كان ممن ينطبق عليهم قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(محمد :٢٤)، فلو كانوا يستوعبون كلمة الامام لكانوا قد زحفوا معه زحفا، فشاء يعني رفعة، نصر، فتح، لكنهم ينظرون الى ظاهر الامر {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(الروم :٧)، هذا المعنى الاول.

المعنى الثاني: لا قال لهم أنا الذي تتصورون أنني ذاهب الى التهلكة، بينما انا ذاهب نحو الفتح، وليس النصر من لحق بي يستشهد، يقتل، يسلب، يقطع، فهل تتحملون ؟

كما قال: ((كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات)) هذه (تقطعها) خذها وضعها امام قول الامام السجاد لما قال: ((أأتوني بحصيرة فإني كلما حملت جانب وقع جانب، كانت الطعنة فوق الطعنة)).

خلاصة الكلام:

ان المعنى الاول لأهل الذكر هو(**المعنى العقائدي**) بمعنى ان اهل البيت هم اهل القران وكذلك تبين لنا عندما يُرجع القران الكريم الناس الى مجموعة من الناس لابد ان تكون هذه المجموعة بارزة وبينة حتى لا تتيه الناس.

****

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا○ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}(الأحزاب: ٤٢)

النبي (صلى الله عليه واله) في الحديث الذي هو اشهر حديث بالتاريخ لما قال:((إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي))، هذا ماذا يبين؟

يبين لنا امرين:

الامر الاول: الامة التي لا مشاكل فيها على العلم والتاريخ والتراث أمة ميتة، فالاختلاف ليس دائما امر سلبي، انظروا الى مسالة الحوزة العلمية ياتي بعض الشباب يقول: أن الحوزة غير متصافية فيما بينها، والمراجع يختلفون فيما بينهم، بينما الحوزة اذا كانت لا تتخالف فيما بينها لا تبقى، لان منبع العلم هو الأختلاف.

اساسا العلم كيف ينبع؟ ينبع عندما تختلف معي، وأنا أحتلف معك وكلاً منا يأتي بدليله، أنت تأتي بمقدمة قوية لبرهانك وانا كذا، وبذلك نثري العلم، بالنتيجة هذا الثراء للمذهب ولهذا الدين العظيم قوة فكرية. أما أننا لا نعرف كيف نتعامل مع هذه المسألة هذا امر اخر.

الان في الاكاديميات العلمية من الذي يطور البحوث العلمية؟ مثلا هل تتصور ان هذه الاجهزة الطبية التي تصل لك مثل الرنين وغيرها هل انها تطورت بالاتفاق؟ لا! بل بالاختلاف.

وهكذا حصل التطور، هذه النظريات الكيميائية والفيزيائية التي يستمتع بها العالم أتت من هذا الامر، فأنا لما أريد أختراع شيء جديد أذا أنظر للقديم على أساس أنه غير ممكن أحد يصل له، لن اتمكن من تطبيق فكرتي ولن أخترع شيء.

لذلك اذا كنتم مطلعين على تاريخ الحوزة العلمية خصوصا النجف –هناك كتاب جميل ولطيف لسيد محمد حسين الحكيم– يذكر مئة عام الحوزة في النجف لا تتمكن من رفع اشكال على الشيخ الطوسي، كانت له هيبة حتى جاء المحقق والعلامة الحلي واشكل عليه وتطور العلم، الان لو تسأل الشيخ الطوسي تشكر من تلامذتك سيقول لك: أشكر العلامة الحلي لأنه فتح العقول

وجعل العلم يتوسع، الاختلاف الذي يجري بالأمة يعلم انه من الحيوية يصبح هذا الاختلاف؛ ارجعوا بالاختلاف حتى لا تصلوا الى الخلاف.

الاختلاف في العقل والاخلاف بالقلب، تعالى يقول{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ }(الأنفال :٦٣)، فلتبقى العقول مختلفة لكن المهم ألا تختلف القلوب، وهذا شيء جميل ولطيف.

الامر الثاني: القران الكريم يقول اذا اختلفتم ارجعوا الى أهل الذكر، من هم هؤلاء الذين أختلفوا؟ قد يتصور البعض أن هؤلاء الذين يختلفون هم الناس من العامة، بينما المقصود هم العلماء الكبار، يعني اذا اختلف وهناك قراء قرأن وهناك أهل القرأن يوجد هناك الذاكرين المذكرين وهناك اهل الذكر، هناك من يحمل العلم، وهناك العلماء.

لذلك هذه الآية لا ترجع الناس بالمعنى الاعم بل بالمعنى الاخص لذلك كأن هذه الآية تقول الآية اذا اختلف الكبار من الصحابة بذلك الزمن يعودون لآل محمد وال محمد حتى الناس الذين يحيطون بهم لا تصبح عندهم مشكلة.

وإلا الناس اذا ترجع لأمير المؤمنين من اول الامر لا تحصل المشاكل ولا تستمر طويلا.

هذه الرواية موجودة في نفس تفسير روح المعاني للألوسي وحتى في الفخر الرازي يذكرها وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) – في قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر...) –: الذكر أنا، والأئمة: أهل الذكر (لكافي: ١ / ٢١٠ / ١).

حتى لا تصلون فيها الى مرحلة تقتلون ذريتي وأنتم تستندون على فهومات القران الكريم التي زيفت امامكم.

الخطر وصل بحال بعض المفسرين إنهم فسروا اية:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}(البقرة :٢٠٧). بأنها نزلت بعبد الرحمن أبن ملجم هل تتخيل الامر؟!

وكبار الرواة ينشدون هذه الابيات:

يا ضربة من تقي ما اراد بها * الا ليحصل عند الله قربانا.

اذاً هذا يبين لك انه بإمكانهم ان يفسروا القران كيفما يشاؤون ويشتهون لذلك لابد ان تكون هناك عصمة للقران الكريم الذين هم أهل الذكر.

*****

هناك في الزيارة الجامعة عبارة اخرى**(اَلسَّلامُ عَلى مَساكِنِ ذِكْرِ الله)**

تخيل إن ذكر الله العظيم له مسكن، هذا المسكن هم أهل البيت، فليس كل بيت مسكن، المسكن أخص من البيت، فكل مسكن بيت، لكن ليس كل بيت مسكن.

فهناك فرق بين(يُسَكِن) اي بمعنى يُريح، وهناك(يُسكَن)اي المكان الذي يجلس به، فالمقصود هو المعنى الاول اي كونهم مساكن من السكينة والطمئنينة والراحة.

تخيل رغم كل البلاء الذي احاط بآل محمد إلا انهم مساكن ذكر الله، من هذا المنطلق تخيل كم هي عظمة هؤلاء الائمة.

تقرأ في علم التنمية الاجتماعية–كذبة موجودة– الطاقة السلبية، ويعبر عنه بالاسقاط النجمي وهذا مفهوم جديد وذلك عبر حركات ورياضات يعلموها للإنسان، ليس في محله الان التفصيل بذلك.

الطاقة السلبية يعني يأتي بقربك شخص منزعج فتنزعج، يأتي بقربك انسان فاشل فتفشل، او تأتي قرب إنسان مبتلى فتنتقل هذه الشحنات اليه، لذا يقولون لك اذهب دائما بالقرب من الانسان الذي يحمل طاقة ايجابية، اذهب للإنسان الذي يتكلم دائما بالإيجابية.

أهل البيت يعكسون هذه النظرية، فهذا بيت علي وفاطمة هذان الشخصيتان الودودتان، وهذا البيت الجميل والمسكن الضليل، يصبح بيتهم مرمى للنبال والاتهام والتسقيط، كل انواع البلاءات والاذى تعرض له هذا البيت، من الناحية المالية ليس بالمستوى المطلوب، من الناحية الخارجية مستهدفين، على مستوى الانشغالات هم منشغلين، لكنهم بالمقابل يبثون السكينة وكل من يقترب منهم لا ترى أي علائم السلبية بل أنك بمجرد أن تقرأ عن هذا البيت تشعر أنك بعالم أخر، رغم البلاءات والمشكلات المحيطة بهم لكن يبثون الطاقة الايجابية .

هذه القاعدة ان ابتعد عن كل شخص مبتلى، عن كل شخص لديه مشاكل هذا ليس صحيح، لأن الانسان هو الذي يريد، الانسان الذي لديه نورانية يأخذ النورانية حتى من البلاء بل حتى من الظلام.

لذلك هذه الحالة تجعل الانسان اولا غير مسؤول عن غيره، وعبارة مالنا والدخول بين السلاطين، لكن يعكسها ويقول مالنا والدخول بين الفقراء، بين اهل البلاء، بين اهل المرض، هنا يصبح الانسان ضعيف، يخاف من كل شيء خارجي لا طاقة لديه.

لذا عبارة **(مساكن الذكر)** واهل الذكر تسلط الضوء على حقيقة مهمة ذات اربع مراتب:

اولا: الذكر باللسان.

لابد أن لا يفتر ويكون لهج بذكر الله دائما، فهذه الآية التي تامرنا ان نذكر الله ذكرا كثير احتار العلماء في كيف يكون الذكر كثير؟ مثلا المال الكثير ممكن يغني، لكن الذكر الكثير والتعامل مع الرب الكريم كيف نصل الى مرحلة نستيقن أننا من اهل الذكر الكثير؟!

فهناك من اعتمد على ما ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) انه قال((من اكثر من سورة الاخلاص عد من اهل الذكر الكثير)).

وبعض الاخر اعتمد على رواية لإمامنا الباقر(عليه السلام) الذي قال فيها ((من بدأ يومه بالذكر ووسطه بالذكر وختمه بالذكر يصبح يومه كله مشمول بالذكر)) .

((فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فإن الله أمر بكثرة الذكر له والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين،))

لكن تجد بعض العلماء كالشيخ الطوسي يقول: " لا، الذكر الكثير يكون كلما تذكرت الذكر ذكرت الله ".

وهناك رأي جميل هو رأي السيد دستغيب يقول:" الذكر الكثير هو الذكر الذي لا يراه الانسان كثيرا"، اي أن تشعر مهما ذكرت انك مقصر، فإن غاية الادب بين يدي الله انك ترى ذكرك قليلاً.

بل هو ذكر الله اساساً مصدره من الله تعالى، يعني {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}، هذه (اذكركم) تعني إذا ذكرتكم ذكرتموني، ذكركم مني واليه؛ بدايته مني ونهايته لي.

فأنتم قولوا: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ}(الأعراف :٤٣)، هذا الذكر مهم خصوصا اذا كان ليس في وقت الفراغ بل تتفرغ لتذكر الله تعالى. فالناس في ذلك صنفان: صنف يذكر عندما يفرغ، وصنف يفرغ نفسه لذكر ربه.

ثانياً. الذكر القلبي.

فمن مصاديق الذكر القلبي هو من جلس مجلس في ذكر اهل البيت كما ورد فعن الإمام الرضا(عليه السلام): « من جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٩٤ / ٤٨)، هنا موت القلوب في الدنيا وليس كما يتصورونه البعض انه في الاخرة لأننا في زمن موت القلوب؛ اصلا يوم القيامة يوم حياة القلوب، الدنيا هي زمن موت القلوب، عندما تتكالب الناس على كل شيء لا قيمة له، وكما ورد – الإمام علي (عليه السلام): ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين، والمقاتل عن الفارين نزوله الجنة (ميزان الحكمة:ج٢، ص٩٦٧).، فإذا كان الذي يذكر الله في مكان فيه غفلة هكذا منزلته، فكيف بمن يذكر الناس بالله وهم غافلين.

هذا الاحياء لأمر النبي(صلى الله عليه واله) الذي به إحياء القلوب يوصلنا لنفس المطلب الوارد في الزيارة الجامعة بإنهم (مساكن الذكر).

كما رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السَّلام) أنهُ قَالَ : " كُلُّ دُعَاءٍ يُدْعَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ "(الكافي : ٢ / ٤٩٣)، فهذا تزكية للذاكر والذكر.

قال تعالى:{وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ} ابناء يعقوب هكذا كان قولهم لكن البضاعة المزجاة لماذا قبلها يوسف؟ لان بها نبي الله يعقوب، هكذا نحن اعمالنا مزجاة لكن عندما تقدم اناس كرماء ذوي كرامة عند الله الذين هم محمد وال محمد نتأمل قبولها من عند الله.

لذا افضل الذكر عن الامام الصادق(عليه السلام) ليس(بسم الله) بل هو(لا اله الا الله)، واسرع الذكر هو (الصلوات على النبي واله).

لذلك علمائنا يوصوننا بأن لا يخلوا يومك من هذين الذكرين (لا اله الا الله واللهم صل على محمد وال محمد)، لماذا؟ لان(لا اله الا الله) الذكر الالهي التوحيدي، و(الصلاة على محمد وال محمد) الذكر العقائدي الولوي، ولابد ان نجمع بينهما .

الثالث: الذكر الذي أثره يظهر بقلب الانسان

مثلا دعاء مكارم الاخلاق عبارة عن دورة اخلاقية كاملة تصفي قلب الانسان وترتبه على مستوى علاقته مع الاخ والرفيق والصديق والجار مع المختلف معه، ذو الخصومة معه.

وهنا لماذا لم يسمى الدعاء (بمحاسن الاخلاق) وسمي(مكارم الاخلاق)؟

لأن المحاسن هو أن تحسن لمن يحسن إليك((هل جزاء الاحسان الا الاحسان))، لكن المكارم تنطبق عليها ((هل جزاء السيئة الا الاحسان)) يعني

أن تحسن لمن اساء اليك ولمن احسن اليك على حد سواء، وهذه صعب لكنه ممكن، لذا الامام وضع لنا دعاء كبير وسماه بمكارم الاخلاق.

لما تدخل في مضامين هذا الدعاء تجد اشياء عجيبة، وصارت اعجب في هذا الزمان، مثلا عبارة ((إطفاء النائرة)) يعني شخص ازعجك وانت تريد ان ترد عليه، اذا كنت من اهل المكارم تطفئ غضبك وتصمت ولا ترد، فلا تصبح انسان عبارة عن ردود افعال فقط.

واحدة من فقرات الدعاء الذي تعجز عنه كل دورات التنمية ((وَلا تَرْفَعْنِي فِيْ. النَّاسِ دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لِي. ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا)) اي حتى لا ارى نفسي بعين غيري إن مدحت او ذممت، يعني هناك توازن من الداخل والخارج.

ومن فقراته: ((وَلا اُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي))، اي لا اكون ظالم ولا مظلوم هناك توازن.

لذا انظر الى هذا الدعاء واقرأه بقلبك ولقلبك وليس بلسانك.

كل ادعية اهل البيت(عليهم السلام) مطلوب أن يركز عليها الانسان دائما، فإن اردت ان تقرأ دعاء اقرا بالمأثور الوارد عن اهل البيت لان اهل البيت اعلم بخريطة الانسان لذا نستطيع أن نعبر بهذا التعبير((ان الوكيل الحصري لله تعالى هو محمد وال محمد)).

اذا جاءهم سائل يقال له: ((اكتب حاجتك حتى لا اريق ماء وجهك بالطلب امامي))، وفي موقف أخر يقال للسائل: ((اذكر حاجتك من وراء الباب، اخشى ان ارى ذل المسألة في عينيك)) لذلك هؤلاء يهتمون بقلوب رعيتهم، على المستوى الميداني والمعنوي.

لو إنك قرأت دعاء كميل كمادة معرفية هل تجد فيها أن الامام قد ذكر فيها حاجة من حوائج الدنيا؟ كلا. بل تجد خجل، انكسار، اعتراف، استعاذة، استغفار لكن في النهاية الامام يفاجئنا بشيء يقول:((اللهم وأفعل بنا ما أنت اهله)) هذه العبارة تقول يارب عاملني بما انت، فأنت قمة الحنان ونحن قمة الغلظة، انت اهل العطاء ونحن أهل الجفاء، انت اهل الكرم ونحن أهل البخل.

هذه العبارة تمثل سر على الانسان أن يحتفظ به دائما معه ويردده اينما ذهب والى اي مشهد من مشاهد المعصومين يذكر العبارة من هذا الدعاء وأطمئن بعد ذلك؛ الا يقول تعالى أن بذكره تطمئن القلوب، بلى، هنا تطمئن بهذه الفقرة.

الرابع: الاستمرار بالذكر بالارتباط بمساكن الذكر

إن اهل البيت(عليهم السلام) لا يجعلون الانسان يذكر الله تعالى فقط انما يجعلونه يستمر مع الله تعالى.

فلو سألنا ما هي اول كلمة تصدر منك عندما تقرأ الصحيفة السجادية، بماذا يمكن أن نعبر عنها؟ لا توجد غير كلمة أنها ((عجيبة)) لأنك لما تقرأ سيرة الامام السجاد تتعجب ان هذه الصحيفة له!

يكفي أن الامام اربعين يوم مرافق للشمر وعماته امام عينيه اسارى، وتخيل ان هذا الشخص يتكلم مع الله، كيف تبقى عنده هذه الروح، حيث يقول: ((فَكَيْفَ لي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ وَشُكْري اِيّاكَ يَفْتَقِرُ اِلى شُكْر، فَكُلَّما قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ لِذلِكَ اَنْ اَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ،)).

هنا من حق بعض الجهلة أن يشكوا إن الصحيفة مرتبطة بالإمام السجاد(عليه السلام)لانهم ينظرون بنظرة الدنيا، لا يعقل أن تصدر من

شخص عاش كل هذه الابتلاءات ويقول((اِلهي اَذْهَلَني عَنْ اِقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَاَعْجَزَني عَنْ اِحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَني عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ،)) الانسان يحتار بالشكر وادائه لما تتوالى النعم عليه، بينما الامام مع توالي الابتلاءات يظهر الشكر بعد الشكر.

تعالى يقول: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}(النحل :١٨)، قال نعمة اي واحدة، فلو تأملنا بشكر نعمة مثل العين فأنت تحتار هل تشكر الله أن جعلك تبصر باليل ام بالنهار؟ عند انعكاس الضوء الذي لا يؤثر عليك ام عندما تكون تحت الظل؟ عندما تميز بين الالوان؟ ام عندما تشكر العين التي تذرف الدمع على ابي عبد الله ام التي ترى جمال الله؟... فعلى ماذا تشكر الله على هذه النعمة الواحدة؟ ومن هنا تفهم لماذا نقول إن الامام لما يتحدث مع الله تعالى فعلا تقول: عجيب.

فواحدة من أهم الدروس التي يجب أن نتعلمها من كونهم مساكن الذكر هو انهم يعلموننا كيف نتحدث مع الله عز وجل.

احد العلماء يقول((لولاهم لما عرفنا كيف نخاطب الله تعالى))، فلو بقي الامر لنا لما كان كلامنا الا يا رب اعطني ثم اعطني، بينما اهل البيت(عليهم السلام) يعلمونا أن نحمد ثم نمدح ثم نثني ثم نطلب، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إذا طلب أحدكم الحاجة فليثنِ على ربّه وليمدحه، فإن الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هيّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبَّار، وامدحوه واثنوا عليه..."(الكافي، ج٢، ص٤٨٥، ح٦)، فالحمد يكون على النعم العامة التي هي هبة للجميع، والمدح فيه ذكر جمال الله والثناء بذكر صفاته اللطفية.

الامام يعلمك أن تقول في الصباح((يا من دلع لسان الصباح...))، وفي المساء تقول: ((اللهم وهذا الظلام قد حال، ورحمتك قد حاطت)).

يعلمك عندما تمرض ماذا تقول؟ لجارك ماذا تقول؟ في دعائك لأبنائك لعائلتك؟ للأموات؟ يعلمونا نظام كامل للحياة لانهم اخبر بهذا الشعاع النازل بيننا وبين رب العالمين، لذلك فعلا هم مساكن الذكر، وفعلا اهل الذكر.